مفارقة أسماء الشخصيات

في رواية "السفر آخر الليل" ليعقوب الخنبشي

إعـداد

دكتور

سلطان بن سعيد بن محمد الفزاري

أستاذ الأدب والنقد المساعد- كلية التربـية

جامعة التقنية والعلوم التطبيقية بالرستاق- سلطنة عمان

١٤٤٤ هـ- ٢٠٢٣م

مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل" ليعقوب الخنبشي

سلطان بن سعيد بن محمد الفزاري
قسم الأدب والنقد، كلية التربية، جامعة التقنية والعلوم التطبيقية بالرستاق، سلطنة عمان.
البريد الإلكتروني:
sultanalfazari.rus@cas.edu.om

ملخص البحث:

تستمد تقنية المفارقة قيمتها الإبداعية من خلال تعاليها علىٰ الظاهر المباشر، وبحثها الدائم عن الغامض الذي يدفع القارئ للبحث عن المسكوت عنه، ويومئ إليه النص الحاضر، وهي تعبير عن أفكار المبدع وقناعاته الذاتية، عبر لغته الخاصة التي تمثل وسيطا مشتركا بينه وبين القارئ، كما أنها دليل علىٰ تمكن المبدع من أدواته، ومن قدرته علىٰ إظهار التناقضات المختلفة، والتفاوت في سلوك البشر. وتعد مفارقة أسماء الشخصيات واحدة من المفارقات التي يوظفها المبدع في كتابته السردية، ويقوم بناؤها علىٰ خلق عالم التناقضات بين دلالة اسم الشخصية، والمعاني التي وظفها المبدع في عمله الإبداعي، الأمر الذي يدعو القارئ إلىٰ بذل جهد أكبر، وقدرة عالية علىٰ فك شفراتها المتراكبة. إن هذه الدراسة تحاول أن تنحو منحىٰ نقديا تحليليا يقوم علىٰ جانبين، أولهما الالمام بمصطلح المفارقة، وأنواعها، وعناصرها، ووظائفها، ومستوياتها، وعلاقتها بالأدب عموما وبعناصر السرد الروائي علىٰ وجه الخصوص، فيما يهتم الجانب الثاني بتوظيف تقنية مفارقة أسماء الشخصيات في النص الروائي العماني، وما يحققه من أهداف داخل البنية الأساسية للرواية، وتحقيقا لهذا المطلب فالدراسة تختار رواية "السفر آخر الليل"، للكاتب العماني يعقوب الخنبشي، أنموذجا تطبيقيا؛ لتوافر هذه التقنية

بصورة واضحة في الرواية من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ لعدم تسليط الضوء –علىٰ حد علم الباحث– علىٰ دراسة هذه التقنية في هذه الرواية، أو الرواية العمانية عموما.

الكلمات المفتاحية:

المفارقة– مفارقة أسماء الشخصيات– الرواية العمانية– يعقوب الخنبشي– تقنية المفارقة.

The paradox of the names of characters in the novel "Travel at the End of the Night" by Yaqoub Al-Khanbashi

Sultan bin Saeed bin Muhammad Al-Fazari
Department of Literature and Criticism, College of Education, University of Technology and Applied Sciences in Rustaq, Sultanate of Oman.
Email: sultanalfazari.rus@cas.edu.om

Abstract:

The paradox technique derives its creative value through its transcendence over the direct superficial value, and its continuous search for the mystery that pushes the reader to search for the unspeakable, which the present text points at. It is an expression of the creator's ideas and his own convictions, through his own language, which represents a common mediator between him and the reader. As a result, it will be an evidence of the creator's mastery of his tools, and his ability to show the various contradictions and disparities in human behavior. One of the paradoxes that the creative writer employs in her/his narrative writing is the paradox of the names of the characters, and its construction is based on creating a world of contradictions between the significance of the character's name in the text, and the meanings that the creative writer has employed in her/his creative work, which were shown by the character through her/his characteristics, sayings and actions, demanding the reader to make an effort to decode their overlapping codes. This study attempts to adopt a critical and analytical approach based on two aspects, the first of which is familiarity with the term paradox, its types, elements, functions, levels, and its relationship to literature in general, and to the elements of narrative in particular, while the second aspect is concerned with employing the

technique of paradoxical names of characters in the Omani novel texts and the objectives it achieves within the basic structure of the novel. In order to achieve this requirement, the study chooses the novel "The Travel at the End of the Night", by the Omani writer Yaqoub Al-Khanbashi, as a model for application for the following reasons: the obvious availability of this technique in this novel on the one hand, and the fact that this technique has not been studied- as far as the researcher knows –neither in this novel, nor in the Omani novel in general.

Keywords:

Paradox- Paradox of characters names- Omani novel- Yaqoub Al-Khanbashi- Paradox technique.

مدخل:

(أهمية البحث، وأهدافه، والمنهج المتبع)

استطاعت المفارقة أن تثير اهتمام الدارسين، غير أنها جرت وراءها جدلا كبيرا، واختلافا بيّنا في وجهات النظر والرؤىٰ والطروحات؛ لما تحمله من بحث عميق لمقاصد المعاني التي تبنىٰ علىٰ التناقضات وإظهار الفوضىٰ الفكرية التي بدأت تصيب الإنسان المعاصر، فالمفارقة تعبر عن قناعات أصحابها، وتعكس وجهات نظرهم، وهي ترتبط بالحقول المعرفية المختلفة؛ الفلسفية، واللغوية، والبلاغية، والتاريخية.

تعد المفارقة أسلوبا فنيا يفترض ازدواجية التلقي، فهي تقوم علىٰ اجتماع عناصر ثنائية متضادة، من الصعب توقع اجتماعها في سياق واحد، أو موقف واحد، ويدعو هذا الأسلوب إلىٰ استثارة المتلقي وتحفيز ذهنه؛ لملاحقة ما يحمله النص من حمولة دلالية وجمالية، بحثا عن شبق القراءة الذي يتحقق بالمباغتة وكسر أفق التوقع، فالتطور في عملية بناء النص وإبداعه بات يتطلب إشراك المتلقي في تلك العملية الإبداعية، ولعل هذا يأتي علىٰ رأس الأسباب التي منحت المفارقة تلك المطاطية في توجيه القصد والرؤية العميقة لما يريد المبدع إثباتها وتحويله إلىٰ ملعب المتلقي في لعبة لغوية ذهنية تستدعي إعمال العقل والتفكير، وتدعو إلىٰ التأمل وصولا إليها، وكشفا للتضاد والتعارض بين المعنىٰ الظاهر المعبر عنه، والمعنىٰ الخفي المقصود ودلالاته العميقة.

إن الإنسان إذا أمعن النظر حوله، سيجد المفارقة حاضرة في واقعه باستمرار، فالحياة ومظاهرها المختلفة حافلة بجملة المتناقضات والمتضادات، وهو يحياها ويلاحظها ويمارسها باستمرار وإن لم يسمها أو يدركها، فالإنسان بطبعه يميل إلىٰ كسر الرتابة وتحطيم المألوف الذي يحقق الجمال والمتعة لديه.

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من الآتي:

- يأتي هذا البحث من بين البحوث التي سلطت الضوء علىٰ توظيف تقنية المفارقة في النصوص الروائية، ويستمد البحث أهميته النظرية من أهمية الإطار النظري الذي يقدمه، حيث يتتبع دلالة مصطلح المفارقة، ويناقش عناصرها، وأنواعها، ومستوياتها، ومبادئها، وعلاقتها بالأدب، وأهمية توظيفها في الرواية.

- بالرغم من تعدد البحوث والدراسات التي تناولت مصطلح المفارقة في الأدب العربي القديم والحديث، إلا أنه –علىٰ حد علم الباحث– لم يسلط الضوء عليه في دراسة الرواية العمانية المعاصرة.

- يدرس البحث نوعا من أنواع المفارقة يتصل بأسماء الشخصيات الروائية، وهو من الموضوعات التي تمثل ندرة في الدراسات العربية، فيأتي البحث الحالي محاولا الوقوف علىٰ بناء هذا النوع من المفارقة في رواية "السفر آخر الليل"؛ كون الرواية اتكأت اتكاء قويا علىٰ هذا النوع من المفارقة لتشييد معمارها السردي، فمفارقة أسماء الشخصيات وجدت تجسدّها الواضح في الرواية من مفتتحها إلىٰ نهايتها، وربما كانت هذه السمة من أُنسب المقاربات النقدية في معاينة هذه الرواية والوقوف عليها.

أهداف البحث:

يقصد البحث:

١) الوقوف علىٰ مصطلح المفارقة، واستقصاء جذوره، وتتبع تطوره في الفكر النقدي الغربي والعربي، وتبين أنواع المفارقة، وعناصرها، ووظائفها، ومستوياتها، ومبادئها.

٢) تبين دور المفارقة في الأدب، وأهمية توظيفها في النص الروائي.

٣) التعرف بآلية الاشتغال علىٰ تقنية مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل".

٤) مناقشة أهمية توظيف مفارقة الشخصيات في بناء السرد الروائي في رواية "السفر آخر الليل".

منهج البحث:

يتوسل البحث بالمنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم بوصف المفارقة وصفا دقيقا يضم تطور المصطلح، وأنواعها، ووظائفها، والمبادئ التي تقوم عليها، كما أن البحث يقوم علىٰ تحليل النص الروائي واستنطاقه؛ لتحقيق النتائج المرجو تحقيقها.

المبحث الأول:

(المفارقة: دلالة المصطلح، وعناصرها، ووظائفها، وأنواعها، ومستوياتها، ومبادئها، وأهمية توظيفها في بناء النص الروائي)

- دلالة مصطلح المفارقة:

الحديث عن مصطلح المفارقة يقتضي أولا التطرق إلىٰ مفهومها اللغوي في المعاجم، فالمفارقة اسم مفعول من "فارق"، وجذرها الثلاثي "فَرَقَ"، ومصدرها "فَرْقٌ"، والفرقُ في اللغة بخلاف الجمع، فهو تفريق بين شيئين، ومنه مفرق الطريق، أي متشعبه الذي يتشعب منه طريق آخر، ويقال: فارق الشيء مفارقة، وفراقا، أي باينه، وفارق فلان امرأته مفارقة وفراقا: باينها وافترق عنه[١]، وقد وردت في الصحاح كذلك، بمعنىٰ التفريق والفرقة، وفرقت بين الشيئين أفرق فرقا وفرقانا، وفرقت الشيء تفريقا، وتفرقة، فانفرق وافترق وتفرق، والفرقة: الاسم من فارقته مفارقة وفراقا، والمفرِق والمفرَق: وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر، وكذلك مفرق الطريق ومفرقة للموضع الذي يتشعب منه طريق آخر، وفرق له الطريق: أي اتجه له طريقان[٢].

وبين "ابن منظور" معنىٰ المفارقة بتمييزه بين التفرق والافتراق: منهم من يجعل التفرق للأبدان، والافتراق في الكلام، يقال: فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرقت بين الرجلين فتفرقا، وفارق الشيء مفارقة وفراقا: باينه، وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضا[٣]وجاء في المعجم الوسيط: فرق بين الشيئين، فرقا، وفرقانا: فصل

---

(١) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧، مادة (فرق).

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إميل بديع يعقوب؛ ومحمد نبيل طريفي، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، مادة (فرق).

(٣) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، مادة (فرق).

وميز أحدهما عن الآخر، وبين الخصوم: حكم وفصل، وبين المتشابهين، بيان أوجه الخلاف بينهما، وقيل الفرق بين الأمرين: المميز أحدهما من الآخر[١]، وفي معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة جاءت المفارقة بمعنىٰ التناقض الظاهري الذي لا يلبث أن يتبين حقيقته، والمفارقة هي إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما، بالاستناد إلىٰ اعتبار خفي علىٰ الرأي العام[٢].

من استعراضنا لما ورد في المعاجم السابقة، نخلص إلىٰ أن مدلولات المفارقة، ومعانيها اللغوية هي الفرق والافتراق والفصل والتباعد والتباين والتمييز بين شيئين أو موقفين، كما أنها اختلاف أو ضد أو تناقض بين أمرين.

من حيث الاصطلاح، فإن المتتبع للمصطلح يجده مرتبطا بالحقبة الفلسفية الأولىٰ في التاريخ، فأول ظهور للمفارقة في التاريخ الأدبي – كما يذكر دي سي ميويك- كان في جمهورية أفلاطون، حيث أطلقت كلمة "ايرونيئيا" علىٰ "سقراط" من قبل أحد الأشخاص الذين كان يهاجمهم، ولفظة "ايرونيئيا" يونانية الأصل، وهي تعني "أن يتظاهر الشخص بأنه أحمق مما هو عليه وتدل أيضا علىٰ أنها صفة شخصية في الكوميدية الإغريقية باسم آيرون وتفيد المفرق، أي الذي يفرق بين المظهر وواقع الحال[٣]"، لذا، يعد "سقراط" صانع المفارقة الأول الذي ذكره التاريخ، فقد "كان سقراط يطرح علىٰ مستمعيه أسئلة كما لو أنه يريد منهم أن يعلّموه، وهذه هي المفارقة السقراطية، التي كانت لونا خاصا من إدارة الحديث بين

---

(١) عطية، شعبان عبد العاطي؛ وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤، ص٦٨٥.

(٢) علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥، ص١٦٢.

(٣) ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧، ص٥.

شخص وآخر. وكان سقراط بطريقته هذه يستهدف أن يوقظ في الشباب الذي انجذب إليه الرغبة في المعرفة، واستقلال الفكر، وإلىٰ هذا الحد لم يكن سقراط يعلمهم شيئا، بل يكتفي بأن يبين لهم أن ما يؤمنون به هو في ذاته شيء متناقض، وذلك بأن يستخرج المبادئ من داخلهم، ثم يستنبط من كل مبدأ نتيجة هي الضد المباشر لما كانوا يؤمنون به، أو يترك هذا الضد يخرج من وعيهم دون أن يؤكده علىٰ نحو مباشر. وهكذا علّم سقراط أولئك الذين ارتبط بهم أن يقولوا أنهم لا يعرفون شيئا[١]، وإذا كان "سقراط" يمثل البداية الأولىٰ لمصطلح المفارقة، فإن فلاسفة غربيين آخرين، ونقاد كثر، وباحثين مثلوا دعامة أساسية لمصطلح المفارقة في حقول الفلسفة والأدب والبلاغة، فأشبعوه دراسة وبحثا، فهي ضرورة لا بد من وجودها في الأدب "إن عالما بلا مفارقة يشبه غابة بلا طيور[٢]"، كما أن "المفارقة هي ذرة الملح التي وحدها تجعل الطعام مقبول المذاق.[٣]"

إن نظرة واحدة علىٰ جهود الغربيين نحو إيجاد تعريف اصطلاحي للمفارقة، يوحي بصعوبة إيجاد ذلك التعريف؛ لاختلاف منظور الباحثين والنقاد، فميويك يرىٰ أن المفارقة هي "قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرا واحدا بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات[٤]"، وهي تعمل علىٰ "تناول الفرق بين ما يقول الناس وما يفكرون،

---

(١) هيجل، جورج، محاضرات في تاريخ الفلسفة: مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦، ص٥٦.

(٢) ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص١٦.

(٣) نفسه، ص١٨.

(٤) نفسه، ص٤٣.

وبين ما يعتقدون وبين ما هو واقع الحال"[١]، وهي "صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنىٰ المضاد. والمفارقة أخف من الهزء والسخرية لكنها أبلغ أثرا بسبب

أسلوبها غير المباشر، لذلك يتطلب إدراكها ذكاء وحسا مرهفا"[٢]، والمفارقة عند "ريتشارد" تعني "توازن الأضداد"[٣]، فيما تعني عند "صمويل جونسون" "وسيلة من وسائل التعبير يناقض فيه المعنىٰ الكلمات"[٤].

والمفارقة عند "فريديك شليكل" مناورة حاذقة، تلعب علىٰ كل الاحتمالات، بل تناور باللعب علىٰ الذات نفسها، فهو يقول: "إننا لن نصل إلىٰ المفارقة إلا بعد أن تكون الأحداث والناس، بل الحياة بأسرها مدركة وقابلة للتمثل بوصفها لعبة"[٥]، ولا يذهب "كيركجورد" كثيرا من رؤية سابقه لمفهوم المفارقة، فإن "الوعي الإنساني كلما حاول أن يستوضح تعقيدات الحياة، وتوهم أنه قد وصل في مرحلة ما إلىٰ فهم مناسب لها اكتشف أنه ما تزال هناك احتمالات أخرىٰ للفهم"[٦]، في حين يؤكد "نورثروب فراي" علىٰ أن المفارقة هي وسيلة لقول

---

[١] ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي ، ص١٧.

[٢] ماكوين، جون، الترميز، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص٩٥.

[٣] العبد، محمد، المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦، ص٩.

[٤] ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص١٤٠.

[٥] إبراهيم، نبيلة، المفارقة، مجلة فصول (مجلة النقد الأدبي)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلد٣، عدد٣-٤، ١٩٨٧، ١٣٤.

[٦] نفسه، ص١٣٥.

أقل ما يمكن وتحميل ذلك القول أكبر ما يمكن من المعنىٰ؛ فالمفارقة، نظام من الكلمات يتجنب القول الصريح، وينكر المعنىٰ الواضح لما يقول[١].

ويذهب "رولان بارت" إلىٰ أنه "لابد للقراءة التي تخلق المفارقة أن تحارب قالب الرأي المألوف عن طريق دعم نقيضه، أي أن يكشف هذا النقيض بين طيات القراءة التي تشجع الرأي المشترك. فلا بد للمرء أن يبين أن الخطاب المعين لا يعني الشيء الذي يدعي في الظاهر أنه يعنيه أو أنه يعني أكثر مما يقره"[٢]، بينما يرىٰ "بروكس" أنها "من أكثر المصطلحات شمولية بين أيدينا لوصف التعديل الذي تتلقاه العناصر المختلفة في داخل السياق"[٣]، في حين أن المفارقة لدىٰ "دي مان" تعتمد علىٰ وجود الضد فهي "تقر بضرورة المعنىٰ الحرفي أو الادعاء بالصدق ضمن الإيماءة المفارقة نفسها، وبذلك تؤكد الحاجة إلىٰ فعل إيجابي لليقين"[٤] .

مما سبق نلحظ عدم الاتفاق على تعريف واحد لمصطلح المفارقة، فالجهود انطلقت من مناهج واتجاهات فكرية مختلفة، مثّلت أصحابها، فتناولوه من زوايا لغوية وفلسفية وبلاغية، وتداولوه بأشكال متنوعة، وليس في عدم الاتفاق علىٰ تعريف محدد غرابة؛ فالمفارقة في أساسها "تستعصي علىٰ التعريف الواحد

---

(١) فراي، نورثروب، تشريح النقد: محاولات أربع، ترجمة: محمد عصفور، عمادة البحث العلمي: الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١، ص٥٠.

(٢) راي، وليم، المعنىٰ الأدبي من الظاهراتية إلىٰ التفكيكية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧، ص١٩٤.

(٣) Thompson, A.R – The Dry Mock, A study of Irony in Drama, Berkley, ١٩٤٨, p١٥.

(٤) راي، وليم، المعنىٰ الأدبي من الظاهراتية إلىٰ التفكيكية، ص٢٠٨.

الذي يجمع مفاهيم الأدباء والنقاد لها، أو يضم كل أنواعها ودرجاتها، ناهيك عن أساليبها وأثرها في العمل الأدبي"[١].

إن فهمنا السابق للمداخل المتنوعة لمصطلح المفارقة لدىٰ الغربيين، وما آلت إليه تعريفاتهم من اختلاف بحسب كل نظرية ومنهج واتجاه، يحيلنا إلىٰ سؤال مقابل يتصل بالدرس النقدي العربي؛ فهل عرف تراثنا الأدبي والنقدي والبلاغي مصطلح المفارقة قديما؟. إن ما تؤكد عليه الدراسات الجادة التي قاربت الموضوع أن مصطلح المفارقة لم يكن ضمن معجم النقد والبلاغة العربيين المتوارثين، فهو لم يرد بلفظه في الاستعمال الأدبي أو اللغوي أو البلاغي أو النقدي قبل الفترة الحديثة، فهو "مصطلح غربي لم تعرفه العربية، ولم يدخل دراساتها إلا من وقت قريب عبر الترجمة"[٢]، رغم وجود المفارقة في حياة الإنسان العربي القديم وارتباطها بوعيه وإدراكه.

إن عدم وجود مصطلح المفارقة لفظا في التراث العربي، لا يعني عدم وجوده ضمنا في الاستعمالات الأدبية والنقدية والبلاغية، فالمصطلح قد عرف طريقه إلىٰ النقد والبلاغة القديمة بتسميات عدة شاعت، ومارسها اللسان العربي؛ شعرا، ونثرا، وحكما، وأمثالا، ومن المصطلحات التي اقتربت من مصطلح المفارقة ودلالاته ومعانيه، وتشابكت مع حدوده، مصطلح التعريض، وهو "اللفظ الدال علىٰ الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي أو المجازي"[٣]، وهو بذلك يقترب من مفهوم

---

(١) سليمان، خالد، نظرية المفارقة، مجلة أبحاث اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا: جامعة اليرموك، مجلد٩، عدد٢، ١٩٩١، ص٥٧.

(٢) علي، نجاة، المفارقة في قصص يوسف إدريس القصيرة، المجلس الأعلىٰ للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص٥.

(٣) الجزري، ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي؛ وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٧.

المفارقة؛ لأن فهم التعريض هو الأساس، وكذلك المفارقة؛ فلا مفارقة إن لم يدرك المتلقي أبعادها، ويفك شفرة رموزها. ومن هذه المصطلحات التي لامست مصطلح المفارقة، كذلك، مصطلح تجاهل العارف، وهو "سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل علىٰ شدة التّدله في الحب، ولقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ"[١]، وهو بهذا المعنىٰ يقترب من مفهوم المفارقة السقراطية.

ويقترب مصطلح تأكيد الذم بما يشبه المدح من مصطلح المفارقة، وهو "أن يقصد المتكلم ذم إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه"[٢]، ومن ثم فهو يجمع بين النقيضين؛ فيقترب من حدود مصطلح المفارقة. ومن هذه المصطلحات مصطلح التورية، وهي أن "يذكر لفظ له معنيان: قريب دلالة اللفظ عليه ظاهرة لكثرة استعماله، وبعيد دلالة اللفظ عليه خفية لقلة استعماله فيه، ويراد البعيد اعتمادا علىٰ قرينة"[٣]. ومنها، كذلك، الكناية، وهي "ترك التصريح بذكر الشيء إلىٰ ذكر ما يلزمه، لينقل من المذكور إلىٰ المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلىٰ ما هو ملزمه، وهو طويل القامة"[٤].

---

(١) المصري، ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ص١٣٥.

(٢) مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٠، ص٤٩٣.

(٣) العاكوب، عيسىٰ علي، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٠، ص٧٢.

(٤) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٠٢.

إن المعاني التي انضوت تحت مصطلح المفارقة في المظان الأدبية العربية كثيرة، غير محصورة فيما ذكر أعلاه، فهي تشمل: المجاز المرسل، والمجاز الاستعاري، والسخرية، والتهكم، والتضاد، والمقابلة، والكناية، والتشبيه، والطباق، والمبالغة، والتشكيك، والحذاقة، والظرف، وغيرها.

والمفارقة في مجال الدراسات النقدية العربية الحديثة، عرفت هي الأخرىٰ مدلولات وتعريفات شتىٰ، وكثيرة هي تلك الدراسات التي تناولت مصطلح المفارقة، وتتابعت منذ تسعينيات القرن الماضي في مجالات الشعر والسرد الروائي والقصصي والدراما الشعرية، ويكفي هنا الإشارة إلىٰ مجموعة من الدراسات الجادة التي خاضت في هذا المجال، محاولة التعرف علىٰ حقيقة المفارقة، وأبعادها، وأنواعها.

يأتي في مقدمة الدراسات التي تناولت المفارقة في القص العربي، دراسة "سيزا قاسم"، وفيها تشير إلىٰ أن "المفارقة لعبة عقلية من أرقىٰ أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدا"[1]، وهي "طريقة لخداع الرقابة، حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة"[2]، كما تعرفها بأنها "استراتيجية الإحباط واللامبالاة، ولكنها في الوقت نفسه تنطوي علىٰ جانب إيجابي؛ فقد ننظر إليها علىٰ أنها سلاح هجومي فعال، وهذا السلاح هو الضحك، ولكنه ليس الضحك الذي يتولد عن الكوميديا بل الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد،

---

(١) قاسم، سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول (مجلة النقد الأدبي)، عدد٢، ١٩٨٢، ص١٤٣.

(٢) نفسه، ص١٤٣.

والضغط الذي لا بد أن ينفجر"[١]، وتتميز المفارقة كما ترىٰ "سيزا قاسم" "بالغموض الذي يكتنف القول، وتتميز كذلك بالإحساس الغريب، الذي يولده اشتمالنا علىٰ عناصر متعارضة. وتكمن طبيعة الإشكالية في حل دلالة المفارقة في هذا النوع من الغموض"[٢].

وقد وقفت "نبيلة إبراهيم" أمام مصطلح المفارقة في دراسة أنجزتها، وأكدت من خلالها أن دعامة المفارقة الأساسية هي إقامة العلاقة الذهنية بين الألفاظ، فالمفارقة "تعبير لغوي بلاغي يرتكز أساسا علىٰ تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد علىٰ العلاقة النغمية أو التشكيلية، وهي لا تنبع من تأملات راسخة ومستقرة داخل الذات ولكن تصدر أساسا عن ذهن متوقد ووعي شديد للذات بما حولها كلام يبدو وعلىٰ غير مقصده الحقيقي أو أنها كلام يستخلص منه المعنىٰ الثاني الخفي من المعنىٰ الأول السطحي، وإنما المفارقة لعبة لغوية ماهرة، وذكية بين طرفي صانع المفارقة وقارئها، فالمفارقة إذن اتصال سري بين الكاتب والقارئ، وهي قد تكون جملة، وقد تشمل العمل الأدبي كله"[٣]، وفي المفارقة يقدم "صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلىٰ رفض المعنىٰ الحرفي، وذلك لمصلحة المعنىٰ الخفي الذي غالبا ما يكون المعنىٰ الضد، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلىٰ المعنىٰ الذي يرتضيه؛ ليستقر عنده"[٤].

---

[١] قاسم، سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر ، ص١٤٤.

[٢] نفسه، ص١٤٣-١٤٤.

[٣] إبراهيم، نبيلة، المفارقة، ص١٣٢.

[٤] نفسه، ص١٣٢.

ويذهب "محمد العبد" إلىٰ أن المفارقة "شكل من أشكال القول يساق فيه معنىٰ ما، في حين يقصد منه معنىٰ آخر يخالف غالبا المعنىٰ السطحي الظاهر"[١]، ويقترب "عبد الهادي خضير" في تعريفه للمفارقة من التعريف السابق، فهو يرىٰ بأنها "تعبير لغوي بأسلوب بليغ يهدف إلىٰ استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنىٰ الظاهري المتناقض للعبارة، والوصول إلىٰ المعاني الخفية"[٢]، فيما يرىٰ "جابر عصفور" أن المفارقة هي "الصورة التي تنطوي علىٰ عنصرين متعارضين يتداخل تعارضهما مشكلا دلالة تنطوي علىٰ المفارقة"[٣].

وترىٰ "يمنىٰ العيد" في دراستها عن المفارقة ارتباطها ارتباطا وثيقا بالتأويل، فيرتكز "التأويل علىٰ مفهوم المفارقة بين الكلمات والأشياء، أو بين اللغة باعتبارها تعبيرا يتوسل الملفوظات الصوتية، وبين الواقع بما يعنيه من وجود محسوس وتجربة معيشة، وعليه فإن محتوىٰ العمل الأدبي معناها، إلا أن تكون نسبيه، لذا فالمعنىٰ من هذه الوجهة مفتوح علىٰ التعدد، ربما اللا محدود، أي علىٰ اللا معنىٰ"[٤]، ويتفق "ناصر شبانة" مع فكرة تعددية المعنىٰ في التعريف السابق، فهو

---

(١) العبد، محمد، المفارقة القرآنية، ص٥٤.

(٢) خضير، عبد الهادي، المفارقة في شعر المتنبي، مجلة كلية البنات، جامعة بغداد، مجلد٣، عدد١١، ٢٠٠٠، ص٩١.

(٣) عصفور، جابر، رمزية الليل، مقال ضمن كتاب: (نازك الملائكة: دراسات في الشعر والشاعرة)، إعداد: عبدالله المهنا، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٥، ص٥٢٠.

(٤) العيد، يمنىٰ، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، القاهرة، د.ت، ص٤١.

يرىٰ أن "المفارقة انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلىٰ أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات وهي بهذا المعنىٰ تمنح القارئ صلاحيات أوسع"[١].

ويورد "محمد ونان" في دراسته أن المفارقة "بنية أسلوبية موضوعها الأساس هو التضاد، ووظيفتها الرئيسة هي تحقيق الدهشة لدىٰ المتلقي من خلال كسر توقعاته، وتحتل حدا فاصلا بين ضدين، وتفصح عن نفسها من دون أن تذكر صراحة، بل يلجأ القول المفارق إلىٰ التلميح والإشارة"[٢]، فيما يعد "محمد لطفي اليوسفي" المفارقة جوهر الحداثة والانفتاح؛ لأنها وحدها قادرة علىٰ إقامة عالم جديد متخيل علىٰ أنقاض عالم الواقع المعيش، وهذا الانعدام لعالم الواقع والبناء في عالم الخيال هو خطوة ضرورية ودقيقة في طرق التعبير[٣].

إن تفحصنا للدراسات الحديثة السابقة التي تناولت المفارقة ، وتتبعنا لأهم الآراء النقدية حول المصطلح، يحيلنا إلىٰ حقيقة أن اهتمام الدراسين العرب بتوضيحه قد جاء متأخرا نسبيا مقارنة بالدراسات الغربية، وقد أتت بعض الآراء لتضيف لبنة في بناء هذا المصطلح، وتجلي بعض غموضه، كما اتفقت بعض التعريفات، وتنافرت بعضها، وتداخلت أخرىٰ فيما بينها؛ لنجد أنفسنا إزاء مصطلح مراوغ متجدد، يصعب القبض عليه، فهو متحرك، غير ثابت.

---

(١) شبانة، ناصر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ص٤٦.

(٢) ونان، محمد، المفارقة في القصص الستيني العراقي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المستنصرية، العراق، ٢٠٠٠، ص١.

(٣) اليوسفي، محمد لطفي، بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥، ص٢٩-٣٠.

- عناصر المفارقة:

تتطلب قراءة المفارقة في النص دخولا إلىٰ العالم الذي يبنيه ذلك النص، وتفعيل الحوار الخصب بينه وبين المتلقي، ركونا إلىٰ الفعل التخييلي الذي تقدمه بنية النص، فالنص ما هو إلا سلسلة متصلة بين كاتبه ومتلقيه، وبالتالي فهو يقوم علىٰ عناصر الاتصال، ولما كانت المفارقة إحدىٰ أساليب الأدب وتقنياته؛ كان لا بد من اتكائها علىٰ هذه العناصر، فهي تتحقق بواسطتها، فالمفارقة "لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها"[(١)].

إن إدراك عناصر المفارقة يتطلب إدراكا مماثلا لعناصر العملية التواصلية داخل النص، لما لهذه العناصر من دور في فهم النص، وتفسيره، وتأويله، "فالنص يعبر عن رؤية ما لكاتبه، حين يضعنا النص أمام أكثر من مسار أو فضاء يعبر عن دلالة ما أو أكثر للمفارقة؛ لذا علىٰ القارئ تجريب استراتيجيات متنوعة للفهم والاستيعاب، فإذا كان البناء النصي يحمل تفسيرات عدة، فإن علىٰ المتلقي محاولة الوقوف عند التفسير المناسب الذي شارك في البناء الكلي"[(٢)].

وعليه؛ فإننا نستطيع تحديد عناصر المفارقة، كالآتي:

(١) المرسل (صانع المفارقة / فاعلها):

تكمن مهمة صانع المفارقة في إيصال "الضحية إلىٰ جهلها بالحقيقة وبخداعها بالمظهر، فلا يتركها إلا بعد أن تكون قد فقدت كل رؤية واضحة للحياة"[(٣)]، وهو مطالب بالانفصال عن خطابه ليتمكن من صنع المفارقة بواسطة خطاب يدل علىٰ

---

(١) إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٩.

(٢) رضوان، إلهام عبد العزيز، الموت في الحياة المفارقة ورؤية العالم في قصص يحي الطاهر عبدالله، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، عدد٣٤، ٢٠١٩، ص١٧٢.

(٣) إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، ص٢٠٨.

نقيض ما يعنيه؛ فصحاب المفارقة حينما يخفي معناه خلف نقيضه؛ فإنه ينشد بلوغ أقصىٰ درجات الوضوح، و"يحاول الوصول إلىٰ أقصىٰ درجات القبول لما يبدو أنه سيقوله"[١].

وعلىٰ صانع المفارقة أن يتحلىٰ بمجموعة من الصفات كالذكاء وسرعة البديهة، كما يجب عليه أن يكون ماهرا وذا مقدرة لغوية؛ حتىٰ يستطيع أن يستمد من الواقع بنية لغوية، يصنع بها عالمه الخاص الذي يشوبه الغموض والصفاء في الوقت ذاته، كمظهر من مظاهر التباين والاختلاف والتناقض الذي يؤدي للخروج عن المألوف الذي تتحقق معه المفارقة، كما يجب علىٰ صانع المفارقة أن يأخذ علىٰ نفسه "عدم المبالغة في التعقيد، وأن يفرق بين التعقيد وعدم الرغبة في التحديد، فقد يعطل التعقيد عملية المشاركة في القراءة بين الكاتب والقارئ، في حين أن عدم التحديد يفتح له المجال لتعدد التأويلات"[٢]، لذا يجب علىٰ صانع المفارقة أن يترك علامة أو إشارة تساعد متلقيها علىٰ التعامل معها، وفك شفرتها.

(٢) الرسالة (بنية المفارقة / نص المفارقة):

يقوم نص المفارقة علىٰ الانحراف الدلالي؛ ذلك لاحتوائه علىٰ الإيحاء، وقصديته عدم المباشرة في إيصال المعنىٰ، فهذا النص لا يسلم نفسه للقارئ المتعجل الذي يريد معرفة الخبايا، دون أن يقدم ما يرمي إليه النص من تأمل وصبر للوصول لكنه تعابيره ومكنوناتها.

إن نص المفارقة يقوم علىٰ لغة منعزلة تتعمد أن تكون خارج الموضوع، فهي "لغة مراوغة تقبل وجهات النظر المختلفة وتتداخل فيها الأضداد"[٣]، وهي لغة

---

[١] ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص٢١١.

[٢] إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، ص٢١٨.

[٣] شبانة، ناصر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٦١.

تعمل باستمرار علىٰ تعميق المعنىٰ الإشاري وتكثيفه، مستخدمة الكثير من الحيل اللغوية والبلاغية، كالأداء غير المألوف، والاعتماد علىٰ اللغة المجازية، واعتماد الرمز، واستخدام الكلمات والصور الغنية بالإيحاءات والمعاني الضمنية التي تغلف المعاني الحرفية والإشارية بظلال الدلالات الأخرىٰ[١] .

(٣) المستقبل (المتلقي / القارئ):

المفارقة في جوهرها تعبير عن ما يضمره كاتبها، وعن قناعاته الذاتية التي يحاول تمريرها عبر لغة تعد وسيطا مشتركا بين المبدع والقارئ، وهنا يأتي دور القارئ ليحاول الكشف عن تلك المضمرات، بعد التقاطه للومضات الخفية والإشارات المبطنة، التي سرعان ما يحيلها إلىٰ إضاءات تكشف ضبابية اللغة وملبسها، وبهذا يمكن أن نعد قارئ المفارقة شريكا أساسيا في صنع المفارقة، فهو من يقوم بإنتاج دلالة الرسالة التي تستدعي حضورا واعيا ومميزا للقارئ، وهو الذي يعيد إلىٰ النص "نظامه عندما يجمع شتاته في حزمة فكرية ومؤتلفة"[٢]، والقارئ هو ذاته من يطلق عليه ضحية المفارقة، حينما لا يستطيع فك التشفير اللغوي والدلالي للرسالة واستكشاف المفارقات، إنه "يحاول قدر الإمكان التخلص من قدره، ولكنه لا يستطيع لسذاجته وغفلته، وكلما توسعت سذاجته وغفلته كلما ازداد نجاح المفارقة فنيا وجماليا، حينها تموت المفارقة في قلب الضحية، وتنتقل دلالتها الضمنية من مكان لمكان، ومن زمن لزمن، رافضة الكشف عن هويتها"[٣].

---

[١] جديتاوي، هيثم محمد، المفارقة في شعر أبي العلاء المعري: دراسة تحليلية في البنية والمغزىٰ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد؛ ودار اليازوري، عمان، ٢٠١٢، ص٥٢.

[٢] إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، ص٢١٧.

[٣] حصباية، الزهراء، المفارقة في الرواية العربية الحديثة: رواية الثلج يأتي من النافذة لحنا مينا أنموذجا، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، ٢٠١٤/ ٢٠١٥، ص١٩.

ويبدو أن الدور الكبير للقارئ، لا بد أن يكون مرهونا بأربع مراحل ضرورية تتضح من خلالها علاقة القارئ بالنص، وهي[١]:

- وصول النبرة (الشيفرة) التي يرسلها صانع المفارقة إليه من خلال اللغة.

- يقين القارئ أن بعض العبارات، أو النص كله لا يمكن أن يصبح مقبولا للفهم إلا بعد رفض ما يقال ظاهريا.

- البحث عن بديل، علىٰ أن يتصل هذا البديل بإشارات لغوية في النص من جهة، ويأتلف مع وجهة نظر صانع المفارقة من الناحية الفكرية والعقلية من جهة ثانية.

- الوصول إلىٰ صياغة موضوعية متكاملة جديدة لما سبق، من خلال تقويم الانحراف اللغوي الذي صنعه صاحب المفارقة.

إن المراحل السابقة تؤكد أهمية دور القارئ في عملية استكشاف ما يخبئه النص، ولكي يقوم بهذا الدور يجب أن تكون لديه مهارات عالية في فهم النص والاتصال معه وتحسس مضامين لغته ودلالتها بشفافية عالية.

- وظائف المفارقة:

تقوم المفارقة بوظائف متعددة، فهي ليست مجرد محسن بلاغي طارئ علىٰ القول، ولا هي "مجرد شكل جميل ذي نكهة معينة"[٢]، إنها "منهج معرفي بلاغي فلسفي لاشتراك القارئ في متعة الملاحظة، واختراق العوالم المتحدث عنها"[٣]، وهي "قد تكون أشبه بستار رقيق يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان،

---

[١] إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، ص٢١٧.

[٢] سليمان، خالد، نظرية المفارقة، ص٧٦.

[٣] شبانة، ناصر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٧٤.

وربما أدارت المفارقة ظهورها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا علىٰ عقب، وربما كانت المفارقة تهدف إلىٰ إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لترىٰ ما فيه من متناقضات وتضاربات"[1]، ومن ثم فإن من أهم وظائف المفارقة ما يأتي:

- تحقيق الانطباع الجمالي بتوظيفها للتناص والانزياح وخرق المألوف بما يزيد من قوة تأثيرها، وقد ربط بعض النقاد مفهوم الأسلوب "بمجموع المفارقات التي نلاحظها بين التركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة، وهي مفارقات تنطوي علىٰ انحرافات ومجاذبات بها يحصل الانطباع الجمالي"[2].

- إصلاح الحياة وإعادة توازنها، ذلك أن المفارقة "تشبه أداة التوازن التي تبقي الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم، تعيد إلىٰ الحياة توازنها عندما تحمل علىٰ محمل الجد المفرط، أو لا تحمل علىٰ ما يكفي من الجد"[3]، فهي توازن القلق، غير أنها "تقلق ما هو شديد التوازن"[4].

- الهجوم الساخر، فقد تكون المفارقة "سلاحا للهجوم الساخر"[5]، تسعىٰ إلىٰ إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية؛ لنرىٰ ما فيه من متناقضات وتضاربات تثير

---

(1) إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، ص١٩٨.

(2) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨، ص١٠٢.

(3) ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص١٢٥.

(4) نفسه، ص١٢٥.

(5) إبراهيم، نبيلة، المفارقة، ص١٣٢.

الضحك، فالمفارقة خليط من فن الهجاء وفن السخرية وفن العبث والفن الضاحك[١].

- خداع الرقابة، فهي تطرح قضيتها من خلال موقف مخالف بطريقة غير مباشرة؛ لخداع الرقابة أو إخفاء النوازع غير المرضية[٢].

- مباغتة القارئ وإثارة اهتمامه، بعبارات المفارقة التي تبثها بين الحين والآخر؛ لتنشيط ذهنه وتحفيزه علىٰ البحث في أعماق النص، فهي "تمنحه حسا قويا ومقدرة علىٰ اكتشاف علاقات خفية في النص[٣].

- أنواع المفارقة:

الوقوف علىٰ تصنيف ثابت ونهائي لأنواع المفارقة، أمر لا يمكن الاتفاق عليه، شأنه في ذلك شأن تقديم مفهوم محدد وجامع للمفارقة، فمصطلح المفارقة -كما أسلفنا- يحمل في طياته غنىٰ تعبيريا وانفتاحا دلاليا رحبا يتيح المجال للتوسع في الاشتغال تحت مسمىٰ المفارقة. إن عدم الاتفاق علىٰ تصنيف ثابت لأنواع المفارقة يعود إلىٰ اختلاف زاوية الرؤية لدىٰ المشتغلين علىٰ مصطلح المفارقة، فهناك من ينظر إلىٰ وظيفتها، وهناك من يهتم بطرقها وأساليبها، وهناك من ينظر إلىٰ تأثير موضوعاتها، ومنهم من ينظر إلىٰ دلالاتها البلاغية، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ ظهور تصنيفات مختلفة لأنواع المفارقة، تختلف من دارس إلىٰ آخر، ولعل أشهر هذه

---

(١) نفسه، ص١٣٢

(٢) السعدني، مصطفىٰ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص٢١٣.

(٣) عبدالله، عدنان خالد، النقد التطبيقي التحليلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٧.

التصنيفات ما قدمه "ميويك"، بالرغم من أنه من أوائل من نبهوا بصعوبة حصر أنواع المفارقة، أو الإجماع عليها، "وما تزال ثمة أنواع من المفارقة بلا أسماء معروفة، كما أن بعضها من ذوات الأسماء ما تزال موضع تكرار وتداخل"[1].

إن اختلاف أنواع المفارقة، وتصنيفاتها، وتعددها، لا يعني صواب بعضها، ومجانبة الصواب للأخرىٰ، فهي تصنيفات أفرزها تعدد المعنىٰ الاصطلاحي للمفارقة، وزاوية التصور للمفارقة نفسها، لذا سيتوقف البحث عند أشهر هذه الأنواع، وهي:

(١) المفارقة اللفظية:

تعد المفارقة اللفظية أكثر أنواع المفارقة تداولا في دراسات الباحثين؛ ويجمع أغلبهم علىٰ أنها "لا تخرج عن كونها دالا يؤدي مدلولين نقيضين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفيا، والآخر سياقي خفي يجمد القارئ في البحث عن اكتشافه"[2]، وبالتالي فإن المفارقة اللفظية تقوم علىٰ الغموض وازدواجية الدلالة لأنها "تشتمل علىٰ دال واحد ومدلولين اثنين، الأول حرفي ظاهر وجلي، والثاني متعلق بالمغزىٰ، موحىٰ به خفي"[3]، فالمفارقة اللفظية تستخدم اللفظ في غير معناه، أو أنها تعدل عن توظيفه في المعنىٰ الذي وضع لأجله في الأصل، الأمر الذي يمنحه دلالة مغايرة تدخله في علاقة عكسية مع المعنىٰ الظاهر أو المكشوف، وهي "تتحقق في مجموعة من المستويات وتجتمع فيها أكثر من عنصر فهي تشتمل علىٰ عنصر يتعلق بالمغزىٰ وهو مقصد القائل وهذا العنصر يتراوح في درجات عنفه

---

(١) ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص٢٣.

(٢) شبانة، ناصر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٦٤.

(٣) قاسم، سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٤٤.

وقوته بين العدوان العنيف والتدليل اللين وتشتمل كذلك علىٰ عنصر لغوي أو بلاغي هو عملية عكس الدلالة ويتمثل هذا العنصر في شكل المغايرة"[١].

إن المفارقة اللفظية تتكئ بدرجة كبيرة علىٰ اللغة ومدلولاتها والتغيرات التي تطرأ علىٰ المعنىٰ "إذ تحطم العلاقة المعجمية الاعتيادية بين الدال والمدلول إلىٰ علاقة ذاتية خفية توقع الدال في بنية عدم مدلول"[٢]، فما يظنه المتلقي من المفارقة اللفظية مديحا يعد ذما، وما يعتقد أنه شجاعة يعد في المفارقة اللفظية جبنا؛ لذا يجب لإدراك المفارقة اللفظية النفاذ من الحدث اللغوي إلىٰ حدث المغزىٰ.

ومما يجدر الإشارة إليه هنا، هو أن المفارقة اللفظية "تشبه الاستعارة في بنيتها الدلالية ذات الدلالة الثنائية، غير أن المفارقة تشتمل أيضا علىٰ علامة توجه انتباه المخاطب نحو التفسير السليم للقول؛ وهي من هنا تختلف عن الاستعارة، وهذه السمة هي من صميم بنية المفارقة. فالمفارقة تفرض علىٰ المخاطب تفسيرها السليم. إنها تقوم بتبليغ رسالة تشتمل علىٰ إشارة توضح طبيعة هذه الرسالة، وعندئذ توازي الرسالة الأصلية رسالة أخرىٰ توضح الطبيعة الصحيحة لمغزىٰ المفارقة"[٣].

إن المفارقة اللفظية تسهم بصورة كبيرة في تقوية جدار النص الأدبي، وترسيخ بنيته، وتقوية معماره، كما أنها تدفع القارئ للبحث عن المعنىٰ الحقيقي القابع

---

(١) نفسه، ص١٤٤.

(٢) خليفة، أحمد، المفارقة في قصص زكريا تامر، عمادة البحث العلمي: الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٤، ص٣٤.

(٣) قاسم، سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٦-١٠٧.

خلف النص، وبناء عليه فإنها تبقىٰ بحاجة إلىٰ قارئ ماهر، يستطيع سبر أغوار النص؛ وصولا إلىٰ المعنىٰ القصود.

وتتخذ المفارقة اللفظية أكثر من شكل، منها:

أولا- مفارقة السخرية:

تتطلب السخرية تلاعبا بمقاييس الأشياء؛ تضخيما، أو تصغيرا، أو تطويلا، أو تقزيما، وهذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جو ممتلئ بالفكاهة والامتاع[1]، وهي تختلف عن المفارقة الساخرة كونها هجوما متعمدا علىٰ شخص بهدف سلبه كل أسلحته وتعريته من كل ما يتخفىٰ فيه، في حين أن الهجوم في مفارقة السخرية غير متعمد علىٰ الضحية، بل أن هذه الضحية كانت بمثابة لحظة كشف لمتناقضات الحياة التي لا يستطيع أن يصل فيها الإنسان إلىٰ حقيقة واحدة، وهنا تأتي المفارقة لتقرع الحقائق بعضها ببعض، ويظل صاحب المفارقة شريكا كاملا للضحية في مأساتها ومحنتها[2].

نستطيع القول بأن مفارقة السخرية هي "صورة يراد من خلالها الإقناع بضد ما يقال، وهكذا فالكلمات الموظفة في المفارقة الساخرة لا تكون في معناها الحقيقي"[3]، وهي بهذا المعنىٰ تتحرر من قيود اللغة المتعارف عليها لتصبح تناقضا فنيا يهدف إلىٰ "إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لنرىٰ ما فيه من

---

(1) زاده، شمسي واقف، الأدب الساخر: أنواعه وتطوره مدىٰ العصور الماضية، مجلة دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، سنة٣، عدد١٢، ١٣٩٠هـ، ص١٠٢.

(2) إبراهيم، نبيلة، المفارقة، ص١٣٧-١٣٩.

(3) مشتوب، سامية، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١١، ص٨٢.

تناقضات وتضاربات تثير الضحك"[١]، ولأن جوهر مفارقة السخرية "التناقض بين المعاني الحرفية للكلمة وبين ما يقصده المؤلف"[٢]؛ فإنها تظل بحاجة دائمة إلىٰ صانع بارع، ومتلق قادر علىٰ فك شفرة النص.

ثانيا- مفارقة العنوان:

يعد عنوان النص الأدبي مفتاحا يعبر المتلقي بواسطته إلىٰ بوابة النص، ومنها إلىٰ داخله، وهو ما "يتسلح به المحلل للولوج إلىٰ أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها"[٣]، فهو المنطقة الأولىٰ التي يواجهها حينما يتدخل في النص محللا ومؤولا وكاشفا عن العلاقات بين عتبات النص كافة، لذا لا يمكن وضعه عشوائيا، بل ينتقىٰ بدقة؛ للقيام بوظائفه المرجوة "الإغراء والإيحاء والوصف والتعيين"[٤].

ومفارقة العنوان واحدة من أشكال المفارقة اللغوية، فقد يتكثف في العنوان محتوىٰ النص، فيعطي انطباعا عكسيا ويناقض ما جاء في النص، "فتحمل دوال العنوانات مدلولات عكسية تماما"[٥]، تحتاج من القارئ محاولات لفك شفرتها، وقد يخضع العنوان للتضاد أو الغرابة أو يحتوي علىٰ الإيحاء أو التناقض، فيكون بحاجة إلىٰ تفسير أو تأويل من المتلقي.

---

(١) إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، ص١٩٨.

(٢) عبدالله، عدنان خالد، النقد التطبيقي التحليلي، ص٢٧.

(٣) حمداوي، جميل، السيميوطيقيا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد٢٥، عدد٣، ١٩٩٧، ص٩٦-٩٧.

(٤) رضوان، إلهام عبد العزيز، الموت في الحياة المفارقة ورؤية العالم في قصص يحي الطاهر عبدالله، ص٨.

(٥) قطوس، بسام، سمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠١، ص٨٤.

ثالثا- مفارقة أسماء الشخصيات:

تعد الشخصية في النص الأدبي بمثابة العصب الحيوي للنص، فهي علامة التبدل والتحول والاستمرار في ذلك النص، فهي تصطنع اللغة، وتنجز الحدث، وهي التي تبث الحوار أو تستقبله، وتصطنع المناجاة، ولا يتخذ الزمان أو المكان خصوصيته إلا بوجودها، فهي التي تعمر المكان، وهي التي تملأ الوجود صياحا وضجيجا، وهي التي تمنح الزمن معنىٰ بتفاعلها معه، وتتكيف بالتعامل مع هذا الزمن في أهم أطرافه: الماضي، والحاضر، والمستقبل، وهي التي تتفاعل مع الآخر، وتنهض بدور إضرام الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب، وتتحمل كل العقد والشرور وأنواع الحقد واللؤم[1]، وبناء عليه فإن الشخصية مكونا هاما في النص الأدبي تتضح قيمتها من علاقاتها المتفاعلة مع المكونات الأخرىٰ للعالم التخييلي، ولكل شخصية من شخصيات النص اسما محددا تعرف به هذه الشخصية، غير أن اختيار صاحب النص لأسماء شخصياته لا يخلو -أحيانا- من قصدية الاختيار لتكون "متناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته، وللشخصية احتماليتها ووجودها، ومن هنا مصدر ذلك التنوع والاختلاف الذي يطبع أسماء الشخصيات"[2].

إن مفارقة أسماء الشخصيات تحدث في النص الأدبي "عندما تكون تلك الأسماء متناقضة مع واقع ذلك الشخص، وهذا يعني أن اسم الشخص لا يتطابق مع

---

(1) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٨، ص١٠٣-١٠٤.

(2) واط، إيان، نشوء الرواية، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١، ص١٩.

الواقع الذي يعيشه"[١]، فصاحب النص يشتغل -هنا-علىٰ اختيار اسماء الشخصيات علىٰ نقيض ما تعنيه تلك الأسماء، فلا تسهم الأسماء في تقديم صورة واضحة وجلية عن الشخصية الحاملة لها، كما لا تسهم في "إكمال صورتها في ذهن القارئ، بل تقوم بإشاعة الغموض والالتباس والحيرة لديه، وهي نوع من السخرية من حامل هذا الاسم"[٢].

إن مفارقة أسماء الشخصيات دائما ما تعمل علىٰ إثارة الريبة والشك في النص الأدبي، فبدلا عن تقديم هذه الأسماء دلالات أو إشارات لتحديد الشخصية وكشف واقعها ووصف طبيعتها، أو الإيحاء ببعض الصفات الجسدية أو النفسية لمن يحملها، "نراها تصبح المحور المركزي لعملية زلزلة دلالة الاسم مع واقع الشخصية وما تنطوي عليه من تصرفات"[٣]، إن اشتغال كاتب النص علىٰ اسماء الشخصيات بهذه الصورة والعمل علىٰ تحويل دلالاتها من النقيض إلىٰ النقيض؛ هي محاولة لتمرير رسالته بأن الاسم لا يعني دائما حقيقة المسمىٰ، وفي هذا تعرية وكشف أقنعة لكثير من الشخصيات التي توجد في الواقع، ولا تمثل الأسماء التي تحملها إلا أقنعة.

---

(١) الأوسي، راما عبد الجليل، المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة (٢٠٠٣-٢٠٠٤)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، العراق، ٢٠١٦، ص٩٠.

(٢) نفسه، ص٩٠.

(٣) الأوسي، راما عبد الجليل، المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة (٢٠٠٣-٢٠٠٤)، ص٩١.

(٢) مفارقة الموقف:

تعد مفارقة الموقف نوعا من الأنواع الرئيسة للمفارقة، وهي "انقلاب يحدث مع مرور الزمن"[١]، وتقتضي مفارقة الموقف حدثا أو موقفا لا بد من وجود عناصر تشكله (أحداث، شخصيات، زمكان)، فهي "تعتمد أساسا علىٰ موقف أو حدث لا يتضمن بالضرورة علىٰ صانع لها، وإنما يكون التركيز فيها أكثر ما يكون علىٰ ضحيتها، التي تتلون في واقعها بدرجات متفاوتة من السذاجة والبراءة والغرور"[٢]، وهي بهذا المعنىٰ تنتج عن الشعور بها، وليس من الضرورة وجود من يقوم بها، أو يصنعها؛ فهي مجرد ظرف أو حالة أو نتيجة لأحداث.

وتختلف مفارقة الموقف عن المفارقة اللفظية في أن الثانية أشد وضوحا وطفوا علىٰ سطح النص، فهي -كما أسلفنا- تعتمد بالأساس علىٰ التلاعب باللغة والمراوغة باللفظ للوصول إلىٰ تحقيق البنية المفارقة، ويمكن -عموما-إجمال أوجه الالتقاء والافتراق بين مفارقة الموقف والمفارقة اللفظية من خلال الجدول الآتي[٣]:

مفارقة الموقف	المفارقة اللفظية
تكشف عن حقيقة تكمن وراء المظهر.	تكشف عن حقيقة تكمن وراء المظهر.
الحقيقة المكشوف عنها حالة.	الحقيقة المكشوفة عنها افتراض.

(١) سليمان، خالد، نظرية المفارقة، ص٢٤.

(٢) باصريح، عمر، شعرية المفارقة في منجز البردوني الشعري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص١٧٣.

(٣) شوقي، سعيد، بناء المفارقة في الدراما الشعرية، دار إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٧٩.

لا يوجد معنىٰ يؤدىٰ بالضرورة.	يوجد معنىٰ يؤدىٰ.
قد تجتمع مع مفارقة اللغة.	قد تجتمع مع مفارقة اللغة.
تثير مسائل فكرية.	تثير أسئلة تقع في باب البلاغة والأسلوب.
ينظر إليها من وجهة نظر المراقب المتصف بالمفارقة.	ينظر إليها من وجهة نظر صاحب المفارقة.
تميل إلىٰ أن تكون مأساوية أو كوميدية أو فلسفية.	تميل إلىٰ أن تكون ساخرة.

إن مفارقة الموقف تتحدد وفقا لما يقتضيه الموقف من عناصر فاعلة فيه، إلى ثلاثة أنواع، هي:

أولا- مفارقة الأحداث:

تدخل مفارقة الأحداث ضمن أنواع مفارقة الموقف، وتنتج "من خلال التعارض بين ما يتوقع حدوثه، وبين ما هو حاث فعلا. أي أن ثمة انقلابا يحدث مع الزمن في سير الأحداث، لا يجعلها تسير وفق ما يتوقع لها، وإنما تتجه اتجاها آخر مغايرا"[(١)]، وتتحقق مفارقة الأحداث عندما يكون هناك تناقض بين ما نتوقعه وبين ما يحدث، و"حينما يكون لدينا وضوح أو ثقة فيما تؤول إليه الأمور لكن تسارعا غير متوقع للأحداث يغلب ويخيب توقعاتنا أو خططنا"[(٢)]، فهي تعتمد علىٰ كسر أفق المتلقي، لتحقيق الدهشة لديه، فالأحداث تأتي ضد توقعه بعد أن يطمئن إلىٰ مضيها وفق تصوره.

---

(١) باصريح، عمر، شعرية المفارقة في منجز البردوني الشعري، ص١٧٤.

(٢) علي، نجاة، مفهوم المفارقة في النقد الغربي، مجلة نزوىٰ الثقافية، عُمان،عدد٥٣، ٢٠٠٨، ص٧٦.

إن مفارقة الأحداث تنتج من "تعارض بناءات الأحداث مع بعضها البعض"[١]، وهي تعطي "فسحة زمنية لخيال المتلقي لتصوير الأحداث ذهنيا ثم التفاعل معها كأنه يعيشها وينظر إليها، وهي بذلك تشركه عاطفيا ووجدانيا في سير الأحداث"[٢]، الأمر الذي يجعل نفس القارئ مشدودة إلىٰ الحدث، مترقبة لتفاصيله، فيثير في نفسه بواعث التيقظ والانتباه إلىٰ متابعة سير الحدث.

ثانيا- مفارقة أقوال الشخصيات وأفعالها:

تتجلىٰ الأحداث في النصوص الأدبية، وتتضح الأفكار عبر أقوال الشخصيات وأفعالها، كما تتخلق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصة تكون مادة النصوص، فالشخصية في النص الأدبي تمثل "العنصر الذي تناط به مهمة الحركة بين مجالي المرجع والنص، من دون أن يفقد -خلال حركته وانتقاله- صورته الأولىٰ أو يغادر ملمحا من ملامحه، فهو يحافظ علىٰ حراجة العلاقة التي تقام بين النص ومرجعه"[٣].

وتعد مفارقة أقوال الشخصيات وأفعالها من أنواع المفارقة التي تسهم في بنية النصوص الأدبية، بل تكاد تكون العنصر الأهم في تشييد هذه البنية، وهي تتضح من خلال التناقض بين أفعال الشخصيات وأقوالها وما هو مرسوم لها من الخارج في

---

[١] شوقي، سعيد، بناء المفارقة في الدراما الشعرية، ص١٠١.

[٢] الخفاجي، أسعد مكي، المفارقة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٠، ص٤٥.

[٣] إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠، ص٧.

لحظة معينة[١]، فكل ما تأتي به الشخصية من أقوال أو أفعال أو سلوكيات غير متوقعة، مما لا يليق بها، أو بوضعها، أو بطموحها، أو بالوسط الذي تعيش فيه، فإنه يدخل في هذا الباب.

ثالثا- المفارقة الزمكانية:

تشير المفارقة الزمانية إلىٰ مختلف أشكال التنافر والانحراف في ترتيب الأحداث في النصوص الأدبية، فالمفارقة الزمنية هي "التنافر الحاصل بين النظام المفترض للأحداث، ونظام ورودها في الخطاب: إن بدء السرد من الوسط مثلا، ثم العودة من جديد إلىٰ أحداث سابقة يعد مثالا للمفارقة الزمنية. إن المفارقة الزمنية في علاقتها بلحظة الحاضر، هي اللحظة التي يتم فيها اعتراض السرد التتابعي الزمني(الكرونولوجي) لسلسلة الأحداث؛ لإتاحة الفرصة لتقديم الأحداث السابقة عليها، ويمكن للمفارقة الزمنية أن تكون استرجاعا (عودة إلىٰ الوراء)، أو استباقا"[٢]، بحيث يروي السارد عبر مفارقة الاستباق "مقطعا حكائيا يتضمن أحداثا تحمل مؤشرات متوقعة"[٣]، تأتي علىٰ شكل إعلان أو توقع ما سيحدث فعلا أو تكهنا بمستقبل شخصية معينة أو بمستقبل الأحداث ومسار السرد، فتشكل بذلك شكلا من أشكال الانتظار[٤].

---

(١) عباس، سناء هادي، المفارقة بنية الاختلاف الكبرىٰ، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العراق، عدد٤٦، ٢٠٠٦، ص٩٧.

(٢) برنس، جيرالد، قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٥.

(٣) الإبراهيم، ميساء سليمان، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١، ص٢٣٠.

(٤) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز العربي، بيروت، ١٩٩٠، ص١٣٢-١٣٣.

وتعد مفارقة المكان واحدة من المفارقات ذات التأثير الكبير في تكوين الشخصيات في النصوص الأدبية، فهي تصور حياة الإنسان، وما يعانيه من صراع فكري ومادي، كما تستعرض التناقض والصراع بين الواقع وما يفرضه من تغيير في وعي الناس الاجتماعي والاقتصادي. إن مفارقة المكان تجعل الشخصيات في حركة تبادلية، وفي حالة أخذ وعطاء مع الأمكنة التي تعيش فيها تلك الشخصيات، فهي تخلق ثنائية ضدية تجمع بين قوىٰ أو عناصر متعارضة بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عن اتصال الشخصيات بأماكن الأحداث.

وتتضح **أهمية المفارقة الزمكانية** إذا ما أدركنا أنه لا يمكن بناء أي نص أدبي من دونه، فهو حتمي لا مناص عنه، ولا يمكن لأي حدث التجرد منه، والزمكان الحقيقي "زمكان مدرك، محدد الأبعاد، معلوم الهوية، تتعامل فيه الشخوص وفق شروطه المعروفة بالنسبة لها والتي لا تتغير عندما تختبر، سواء أكانت في أحداثه أم في لغته، تقوم العلاقة بين أبعاده بطريقة منطقية تترتب فيها النتائج علىٰ الأسباب، وتؤدي فيها الأسباب إلىٰ نتائج"[1]، في حين أن الزمكان المفارق زمكان يخالف ما يوجد فيه من شخوص وأحداث ولغة، يمتاز بأبعاد مضللة، لا تعرف الشخوص كنهه، فيكون تعامل تلك الشخوص معه مخالفا لطبيعته، أما النتائج فهي غير مترتبة علىٰ الأسباب، كما أن الأسباب فيه لا تؤدي إلىٰ النتائج[2].

---

[1] شوقي، سعيد، بناء المفارقة في الدراما الشعرية، ص١٦٢.

[2] نفسه، ص١٦٢.

(٣) المفارقة الدرامية:

ارتبطت المفارقة الدرامية بالمسرح في المقام الأول، فسميت "مفارقة سوفوكليس نسبة إلىٰ المسرحي المعروف سوفوكليس"[١]، غير أن ارتباطها بالمسرح لا يعني عدم وجودها في النص الأدبي، وحتىٰ في النص القرآني، كما هو الحال في قصة يوسف عليه السلام حينما استضاف إخوته في مصر وهم لا يعرفونه، وكان قد عرفهم.

تعرف المفارقة الدرامية بأنها "المفارقة التي ينطوي عليها كلام شخصية لا تعي أن كلامها يحمل إشارة مزدوجة: إشارة للوضع كما يبدو للمتكلم. وإشارة، لا تقل عنها ملاءمة، إلىٰ الوضع كما هو عليه، وهو الوضع المختلف تماما مما جرىٰ كشفه للجمهور"[٢] فالمفارقة الدرامية تعتمد علىٰ بنية العمل أكثر من اعتمادها علىٰ علاقة الكلمات بدلالاتها، فهي تتحقق عندما نرىٰ شخصية ما تتصرف بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة ما يدور حولها من الأمور، وخاصة عندما تكون هذه الأمور -بالصورة التي تراها الشخصية- مناقضة تماما لوضعها الحقيقي[٣]، فالتناقض "بين الإنسان بآماله ومخاوفه وأعماله، وبين القدر العنيد الذي يحيط به، يوفر مجالا واسعا للكشف عن هذا النمط المميز من المفارقة"[٤].

---

[١] شبانة، ناصر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص١٦٢.

[٢] ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص١٥٨.

[٣] ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص٣٠.

[٤] سليمان، خالد، نظرية المفارقة، ٦٨.

إن فهمنا للمفارقة الدرامية يستدعي إلى الذهن استحضار ثلاثة عوامل[1]:

أولا: أن يقتضي توترا في العمل القصص، ويمكن خلق هذا التوتر من خلال وضع شخصية تتسم بالغفلة في مقابل أخرىٰ أقوىٰ منها، أو في مقابل قوة أخرىٰ، ومهما كانت هذه القوة أو الشخصية، إنسانا أو إلها أو أية قوة مثالية أخرىٰ.

ثانيا: يجب أن تكون الشخصية الأولىٰ (الضيفة الغافلة)، جاهلة بحقيقة الظروف التي تحيط بها، بهذا يكون هناك تناقض بين مظاهر الأشياء.

ثالثا: أن يكون الذين لا يشاركون في صنع الأحداث أو توجيهها علىٰ وعي تام بالوضع الحقيقي للشخصية الغافلة، وبالتالي فإن المشاهدين أو الآخرين يكونون علىٰ علم بما سبب إخفاق الشخصية الغافلة، التي تجهل حقيقة ما يجري حولها.

وخلاصة الأمر في هذا الشأن هو أن المفارقة الدرامية موضوعها الجهل، وعدم الوعي بحقيقة ما يدور حولها، وهي تختلف عن مفارقة الحدث بأنها لا تصل إلىٰ نهاية الحدث، في حين أن مفارقة الحدث تصل إلىٰ نهايته، وهي لا تتحقق إلا بحدوثه.

(٤) المفارقة الرومانسية:

لا تخرج المفارقة الرومانسية في أصلها عن المذهب الرومانسي المرتبط بالطبيعة، وهي "نوع من الكتابة يقوم فيه الكاتب ببناء هيكل فني وهمي ثم يحطمه ليؤكد أنه خالق ذلك العمل وشخوصه وأفعالهم"[2]، فالكاتب يلجأ إلىٰ "خلق

---

(1) سليمان، خالد، المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص٣٠.

(2) شبانة، ناصر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٦٩.

وهم جمالي علىٰ شكل ما وفجأة يقوم بتدمير هذا الوهم وتحطيمه من خلال تعبير وانقلاب في النبرة أو الأسلوب، أو من خلال ملاحظة ذاتية سريعة وعابرة أو من خلال فكرة عاطفية متناقضة"[١]. إن غاية الكاتب هنا تصوير عالم قائم علىٰ الفوضىٰ، وعلىٰ قدرة الإنسان علىٰ توقع ما سيحدث، وعلىٰ جذبه اللامتناهي، ومن ثم فإن الفنان يرىٰ أن مداركه الحسية المحدودة في مقابل كل ما هو مطلق أو لا متناه، هي مدارك قاصرة وخادعة أو كاذبة، إلىٰ درجة ما، ورغم معرفته بقصوره، فهو مجبر علىٰ تقييم هذا المطلق بشكل صحيح؛ ولذا يسعىٰ إلىٰ الحفاظ علىٰ نوع من التوازن في عمله الفني بين اليقين العاطفي الجمالي، وبين التحفظ المشوب بالشك[٢].

إن المفارقة الرومانسية لا تؤمن بثبات العواطف، بل تراها علىٰ درجة كبيرة من التبديل، ولا ترىٰ وجود شيء حقيقي محض، بل يكتنف الشيء الواحد أكثر من حقيقة في الوقت ذاته؛ لذا "تبدو أحيانا خاضعة للثنائيات المتفرقة أو المنفصلة: المطلق/ والمحدود، الضعف/ والقوة، إلىٰ آخر ذلك من تناقضات، وهذا ما يزيد من خلق الدلالات الفنية ويحفز ذهن المتلقي إلىٰ مزيد من البحث والكشف"[٣].

بقي أن نشير إلىٰ أن الرواية –حسب ميويك – هي النمط الأفضل للمفارقة الرومانسية فأدب المفارقة بمعنىٰ ما، "هو الأدب الذي ينطوي علىٰ تفاعل جدلي دائم بين الموضوعية والذاتية، بين الحرية والضرورة، بين مظهر الحياة وحقيقة

---

[١] سليمان، خالد، المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، ص٧١.

[٢] نفسه، ص٢٩.

[٣] الخلايلة، ازدهار عبد الرحيم، المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩، ١٣.

الفن، بين وجود المؤلف في كل جزء من عمله عنصرا مبدعا منعشا وبين ارتفاعه فوق عمله بوصفه المتقدم الموضوعي"[1]، غير أن ذلك لا ينفي وجودها في بقية النصوص من الأجناس الأخرىٰ من خلال فكرة عاطفية عنيفة يعكس كاتبها من خلالها المتناقضات بتعبيره الخاص أو نبرته أو ملاحظاته العابرة.

- مستويات المفارقة:

تتحدد المفارقة في النصوص من خلال أربعة مستويات رئيسة، هي:

أولا: حضور مستويين من المعاني في التعبير الواحد؛ مستوىٰ سطحي ظاهر، وآخر كامن لا يسلم نفسه للمتلقي مباشرة، وينبغي اكتشافه، فيشترط في المفارقة "وجود مستويين للمعنىٰ في التعبير الواحد؛ المستوىٰ السطحي للكلام علىٰ نحو ما يعبر به؛ والمستوىٰ الكامن الذي لم يعبر عنه والذي يلح القارئ علىٰ اكتشافه إثر إحساسه بتضارب الكلام كأنه أشبه بزوبعة مثارة لا يعرف مصدرها؛ ولكن فيه من التلميحات ما يكفي لأنه يشده إلىٰ تعرية المستوىٰ الكامن. ومعنىٰ هذا أنه إذا لم يمد المستوىٰ السطحي للكلام القارئ بالخيط الذي يعينه علىٰ اكتشاف المستوىٰ الكامن الذي يقف علىٰ هذا بعد المستوىٰ الأول، فإنه لن تكون هناك مفارقة"[2].

ثانيا: وجود تناقض واختلاف بين المستويين السطحي والكامن؛ حتىٰ تدرك المفارقة، حيث "لا يتم الوصول إلىٰ إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق علىٰ المستوىٰ الشكلي للنص. وقد يحدث هذا الإدراك لدىٰ القارئ حالة من البلبلة بخاصة إذا كانت صنعة المفارقة قد قامت علىٰ تعمد

---

(١) ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص١٠٩.

(٢) إبراهيم، نبيلة، المفارقة، ص١٣٣.

الغموض، الأمر الذي يصل بالقارئ إلىٰ حد أن يقف مترددا في قبول بعض الحقائق دون بعض"[١].

ثالثا: ربط المفارقة بالبراءة المصطنعة، حيث "غالبا ما ترتبط المفارقة بالتظاهر بالبراءة، وقد يصل الأمر إلىٰ حد السذاجة أو الغفلة"[٢].

رابعا: وجود ضحية في المفارقة، قد تكون هذه الضحية أنا الكاتب، وقد تكون أنت، أو الآخر، وأيا ما كانت هذه الشخصية فهي ضحية متهمة وبريئة، وهي في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه علىٰ سبيل الافتراض فحسب، وهو ما يجعلها هشة وغير محصنة، ومعرضة للهجوم ممن هو أعلىٰ منها[٣].

- مبادئ المفارقة:

يعتمد نجاح المفارقة وتأثيرها في النصوص على عدد من المبادي تحقق مصداقيتها، وتحسن من أدائها، وهي[٤]:

- مبدأ الاقتصاد: فالمفارقة من الناحية الأسلوبية هي ضرب من التأنق، هدفها الأول إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرا، وصاحب المفارقة المتمرس يستعمل من الإشارات أقلها. إن مبدأ الاقتصاد يُعنىٰ به توظيف أقل الإشارات البلاغية لتحقيق بنية المفارقة.

- مبدأ التضاد العالي: وهو يشير إلىٰ الفرق بين ما ينتظر حدوثه، وما يحدث فعلا، وكلما ازداد هذا الفرق كبرت المفارقة، ومن أمثلتها أن يُسْرَق السارق، أو

---

[١] نفسه، ص ١٣٣.

[٢] نفسه، ص ١٣٣.

[٣] نفسه، ص١٣٣.

[٤] ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص١٩٠-١٩٤.

يغرق مدرب السباحة، فتزداد حدة المفارقة؛ لأنه أمر نادر الحدوث. ويمكن تصعيد المفارقة بزيادة الظلم، وتوسيع الفرق بين الذنب والثواب غير المستحق.

– الموضوع: فهناك مجالات قد تثير المفارقة أكثر من غيرها، ومنها الدين، والأخلاق، والسياسة، والحب، حيث تتوافر علىٰ رصيد عاطفي كبير، وتضم عناصر متناقضة كالإيمان والحقيقة، والجسد والروح، والعاطفة والعقل، والذات والآخر، وما يجب وما هو واقع، والنظرية والتطبيق، والحرية والحاجة.

- العلاقة بين المفارقة والأدب:

تثير طبيعة العلاقة بين المفارقة والأدب عددا من التساؤلات لدىٰ النقاد والمختصين، وتتصل هذه التساؤلات بضرورة المفارقة في الصناعة الأدبية، وفاعليتها، وأهمية وجودها في النصوص الأدبية كافة، أو في بعضها، وخصائص النص الأدبي الذي يضم المفارقة.

يذهب "ميويك" إلىٰ أن "أهمية المفارقة في الأدب مسألة لا تحتمل الجدل .... إن الأدب الجيد جميعا يجب أن يتصف بالمفارقة. وما علىٰ المرء إلا أن يسرد أسماء مشاهير الكتاب الذين تتميز أعمالهم بوجود المفارقة فيها: هوميروس، آيسخيلوس، يوريبيديس ..إلخ"[1]، فالمفارقة تقنية يتخذها المبدع كآلية فنية لأغراض فكرية، وجمالية، تزين النص، وتثير دهشة المتلقي، وتصدم توقعاته نتيجة لفتح دلالات النص، وهي تزيد عنصر التشويق لديه، فضلا عن كونها تسعىٰ إلىٰ تحريضه وإثارة اهتمامه؛ "نتيجة فتح دلالات النص وعدم تسيجها وتركها سابحة في فضاءات التخيل بمنح القارئ حرية في قراءة مصائر الشخصيات ونتائج الأحداث بالإضافة إلىٰ ذلك هي وسيلة دبلوماسية لتمرير الرسائل دون مباشرة أو

[1] ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي، ص١٢٤.

تقريرية"[١]، ففي الاحتماء بآلياتها الأسلوبية محاولة للخلاص من الرقابة حين التظاهر بمماثلة الأقوال السائدة، لأنها "تستخدم في نهاية المطاف عندما تفشل كل وسائل الإقناع، وتستهلك الحجج، ويخفق النقد الموضوعي؛ فعندئذ تظل المفارقة هي الطريق الوحيد المفتوح أمام الاختيار"[٢].

وتظهر المفارقة في الأدب كتقنيات دلالية، ومنها ما تتبناها كاستراتيجيات خطابية، "لكنها في الحالتين تعرف ما تؤديه المفارقة في سياقات الاتصال المناسبة من وظائف لا تؤديها في غيرها من الاستراتيجيات"[٣]، وهي غير مرتبطة بجنس أدبي دون آخر، فأينما وجدت المفارقة في الأدب، وأثارت قارئ النص، ودعته للبحث الدؤوب عن المعنى، واختراق خطوط النص جيئة وذهابا للوصول لإقامة علاقات بين ظاهر ألفاظ النص ومحمولاته الدلالية، فإنها تؤدي دورها في نسيج ذلك النص الأدبي بطريقة متناغمة.

- أهمية توظيف المفارقة في الرواية:

تعد الرواية واحدة من أهم الأجناس الأدبية التي أمكنها الاستفادة من تقنية المفارقة؛ فهي من الأجناس الأكثر قبولا لها ولأنواعها؛ لما تحتويه من مميزات يمكن أن تتسع للمفارقة بتجلياتها المختلفة، فأضحت تقنية شائعة ومحببة لدى كتاب الرواية؛ تماشيا مع فكرة أن "النص الأدبي العربي المعاصر قد أخذ يسجل تحولا في العنصر المهيمن في الاتجاه النقدي الحديث، الذي يقوم على محاكاة

---

(١) فرجان، نبيلة؛ ومجناح، جمال، التشكيل الفني للشخصية الساخرة: مسرحية الأقنعة المثقوبة أنموذجا لعز الدين جلاوجي، مجلة علوم اللغة وآدابها، جامعة الشهيد حمة، لخضر الوادي، مجلد١٣، عدد١، ٢٠٢١، ص١٠٦٦.

(٢) قاسم، سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٢٦.

(٣) العبد، محمد، المفارقة القرآنية، ص٧.

الواقع، إلىٰ اتجاه يقوم علىٰ المفارقة"[1]، وهو ما جعل بناء المفارقة في النصوص الروائية عنصرا حيويا نشطا، يعطي خصوصية للإبداع الروائي، ويظهر تميز المبدع وتفرده، خاصة إذا أدركنا أن هذا البناء متعدد الوجوه، ومتنوع الحضور، وله زوايا كثيرة يطل منها، فهو تارة "حاضر في العناصر الفنية للرواية ومتصل بالشخصيات أو الأحداث أو المكان أو العناصر الزمكانية أو العقدة أو الحل ... وتارة يعتمد علىٰ ظاهر النص الحاضر في العمل وتارة أخرىٰ يعتمد علىٰ النص الغائب الذي يستدعيه بالتبعية النص الحاضر، وهو في الأغلب تقنية فنية تعتمد التضاد والمقابلة، وفي أحيان أخرىٰ قليلة يعتمد علىٰ السخرية أو التهكم أو الفكاهة وبناء المفارقة له حضور في عتبات النص والعناوين، وله حضور في الزمان أو في المكان أو في تناقض الشخصيات وغرابة تصرفاتها ما بين المأمول منها وما يصدر منها من سلوك مخالف للمأمول، ويظهر كذلك في المقارنة بين الفضاء المكاني الخارجي والداخلي"[2]، والمفارقة بذلك تقوم بالهيمنة علىٰ مجريات السرد وتتحكم فيه، بل تحكم السرد الروائي، وتوفر الترابط والتلاحم والتلاقي بين مكوناته.

كما أن المفارقة تؤدي دورا مهما في البناء اللغوي في النصوص السردية الروائية، وتشكيلاته الداخلية، فهي تفترض تعاملا مميزا مع المفردة والجملة والتركيب، بالإضافة إلىٰ "الإحاطة باستعمالات اللغة من حيث الأساليب البلاغية كالتقديم والتأخير والحذف والإضمار، وإمكانيات الفعل والاسم والروابط، ومن حيث التفاوتات الأسلوبية بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي،

---

(1) قاسم، سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٢٦.

(2) محمد، إسماعيل محمود، بناء المفارقة في الرواية النسائية السعودية: مقاربة سردية موازية بين روايتي الوارفة لأميمة الخميس وعيون قذرة لقماشة العليان، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، سنة٩، عدد٢٥، ١٤٤٣هـ، ص٢٣٠.

واستعمالات الضمائر[١]"، كما أن دورها في البناء اللغوي الداخلي للسرد الروائي يتضح من خلال التشكيلات اللغوية في الوصف أو الحوارات المتضمنة، ذلك يقودنا إلىٰ التأكيد علىٰ أن المفارقة تحتاج في صناعتها دائما إلىٰ "مهارة لغوية خاصة، كما تحتاج إلىٰ إحكام بالغ الدقة"[٢]، فالمفارقة إن كانت "ظاهرة سياقية في أوليتها؛ فإن تحليل الخطاب في جوهره طريقة من طرق النظر إلىٰ اللغة بما هي نص في سياق"[٣].

وتسهم المفارقة في بناء الشخصيات في النصوص الروائية، فهي ترسم ملامحها الدقيقة، وتكشف للمتلقي عوالمها وحقيقتها غير المعلنة، كما تظهر الإيجابي والسلبي منها، وكأن المفارقة "مفتاح للسرد يعين علىٰ فك ألغازه الكامنة وفهم شفراته المخبوءة، وتدفعه إلىٰ اكتشاف المسكوت عنه الذي يومئ النص الحاضر إليه"[٤]، فالمفارقة تسعىٰ علىٰ الدوام إلىٰ كشف مكامن النقص، ثم عرضها، وتناولها بأساليب تدفع المتلقي إلىٰ الإفادة منها في التعامل مع العيوب الاجتماعية والتناقضات العميقة التي مست الحياة الانسانية في كثير من جوانبها في الوقت الحاضر.

❁❁❁❁❁

(١) الحسين، أحمد جاسم، القصة القصيرة جدا: مقاربة تحليلية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠١٠، ص٥٧.

(٢) العبد، محمد، المفارقة القرآنية، ص٨.

(٣) نفسه، ص٩.

(٤) محمد، إسماعيل محمود، بناء المفارقة في الرواية النسائية السعودية، ص٢٣٧.

المبحث الثاني:

(مفارقة أسماء الشخصيات في رواية السفر آخر الليل)

الشخصية واحدة من العناصر الرئيسة في الأعمال السردية، وهي "المحرك الأساسي لكل عناصر البناء السردي"[(١)]، وهي كائن من ابتكار الخيال يكون له دور أو فعل ما في كل الأنواع الأدبية والفنية التي تقوم علىٰ المحاكاة، ومنها الرواية[(٢)]، وإذا تأملنا عناصر المفارقة من مرسل ومستقبل ورسالة، نجد مدىٰ ارتباط هذه العناصر الشديد بالشخصية، ومدىٰ أهمية الشخصية فيها، والناظر لرواية "السفر آخر الليل" يلمس بوضوح اشتغال الروائي علىٰ تقنية مفارقة أسماء الشخصيات، والتلاعب في معاني أسماء الشخصيات الروائية وقلبها إلىٰ نقائضها تماما، وهو لا يستثني من توظيف هذا النوع من المفارقة الشخصيات الرئيسة الفاعلة في النص الروائي من الشخصيات الثانوية، الأمر الذي يؤكد قصدية توظيف الروائي لها، وأنه بهذه الكيفية كان الاشتغال ببناء هذا النص السردي الروائي.

تتعدد الشخصيات في هذه الرواية وتنقسم ما بين شخصيات رئيسة استمرت منذ بداية الرواية وحتىٰ نهايتها، وشخصيات ثانوية تظهر في أجزاء من الرواية، لكنها سرعان ما تختفي، ومن الشخصيات الرئيسة: (أحمد: بطل الرواية)، (طاهرة: بطلة الرواية)، (شريفة: زوجة أحمد)، (صالح: الأخ الأصغر لأحمد بطل الرواية)، (صالحة: صديقة/ صديق طاهرة بطلة الرواية)، (راشد: زميل بطل الرواية في

---

(١) شعث، أحمد جبر، تقنية الراوي في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا إبراهيم جبرا، حولية كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة، عدد٢، ٢٠٠١، ص٧٢.

(٢) إلياس، ماري؛ وقصاب، حنان، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ص١٠١.

العمل)، (رضية: ابنة خالة طاهرة بطلة الرواية)، ومن الشخصيات الثانوية التي أثرت في السرد الروائي: (خالصة: ابنة أحمد بطل الرواية)، (المدير العام)، (والدة أحمد)، (والد أحمد)، (ماجد: صديق المدير العام)، (خديجة: الخطيبة السابقة لماجد صديق المدير العام)، (صفية: الابنة الصغرىٰ لأحمد بطل الرواية)، (سالم: ابن أحمد بطل الرواية)، (والدة طاهرة بطلة الرواية)، (صاحب المزرعة)، (علي: الملازم بمركز الشرطة).

يدلنا معنىٰ اسم "أحمد" بطل الرواية الذي يعمل فرّاشا في إحدىٰ الوزارات الحكومية بمحافظة مسقط، ويحاول تحسين وضعه المادي من خلال عمله الإضافي سائقا لسيارة الأجرة القديمة التي يمتلكها، علىٰ فضيلة الحمد والشكر والثناء، والاسم يشير إلىٰ الشخص ذي الصفات الحميدة والطيبة، وهو الأحق بالشكر علىٰ أفعاله، و"أحمد" اسم من أسماء الرسول محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وهو المتحلّي بأجمل الصفات وأنبلها، لذا فإن أول ما يتبادر إلىٰ الذهن أن الرواية ربما ستقدم لنا شخصية تتحلىٰ بهذه الصفات؛ غير أن مفارقة اسم الشخصية تقودنا إلىٰ ما يخالف ذلك تماما، فأحمد الذي تقدمه الرواية ليس حامدا، وليس شاكرا، ولا ممتنا لما وهبه الله من نعم.

"أحمد" شخصية متذمرة من واجباتها الأسرية والاجتماعية، ترىٰ فيما رزقت من نعمة الوالدين والأبناء الثلاثة والأخ والأخت حملا ثقيلا، وهي غير قادرة علىٰ مواجهة ضغوط الحياة اليومية: **"ذكّرته بتسرب الماء في حنفية المطبخ، وبعض الأنوار المعطوبة، والتي مضى عليها زمن ولم يتم إصلاحها، خاصة عند دورات المياه، سرح قليلا وهو يتمتم في داخله: هذه الأشياء وحدها تحتاج لتفرغ يوم بأكمله! لإصلاح ذلك يتطلب توفير ما لا يقل عن عشرين ريالا ..... أنار أضواء سيارته وهو يتجه نحو الشارع، متذكرا موعد**

تجديدها، الذي يوافق هذا الشهر، فهي بحاجة إلى صيانة، وبحاجة إلى تأمين، ضرب كفا بكف وهو يهمس في سره: المبالغ كبيرة وفوق طاقتي، ولا بد أن يتم ذلك على حساب أشياء أخرى"[1]، وهو دائما ما يشكو من سوء حظه في الحياة، ويعاتب القدر علىٰ تفاصيل حياته وحظه الذي لم ينصفه يوما: **"يشكو لنفسه حظه العاثر!. يعاتب قدر الأيام وخشونتها عليه، يستعرض مجمل حياته. يصرخ: أيش هذا حظ النحس"**[2].

شخصية "أحمد" كثيرا ما تبتعد عن الصفات الحميدة وتتجه بصاحبها نحو صفات القبح المناقضة لمعنىٰ الاسم، فأحمد شخصية ضعيفة أمام الفتيات ممن يركبن معه في سيارة الأجرة، وهو يقبل علىٰ نفسه تفحصهن ومراقبتهن: **"ود ملاطفتها بالحديث، ومداعبتها بالكلام.. صباحية مباركة يا عروسة.. تردد؛ وأخيرا قرر: صباح النور.. بينما يتفحصها من أخمص قدميها إلى قمة رأسها ..... راقب حركتها وهي تثني بيدها اليمنى الشمسية التي أمامها في أعلى سقف السيارة.. وجهت المرآة نحوها، ثم أخرجت من حقيبتها ورقة منديل؛ لتصحح بها ما لا يناسبها من مكياج"**[3]، **"استرق نظرات زائغة، وتفحص الجميلات منهن: ثلاث بنات عربيات.. ثلاث بنات آسيويات"**[4]، كما أن **"أحمد" يستجيب لمطالب الفتيات المادية، رغم فقره وحاجة بيته للمال: "رن الهاتف مرة واحدة، نظر إليه، دقق النظر؛ رن مرة ثانية.. خفق قلبه من الفرح.. لا بد أنها هي.. نظر يمينا وشمالا.. تذكر آخر رقمين.. ابتسم**

---

(1) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ص١٣.

(2) نفسه، ص٦١.

(3) نفسه، ص١٨-١٩.

(4) نفسه، ص٥٠.

وشذا الفرحة تعلو شفته. عاود الاتصال، وبعد رنتين جاءه صوتها، لم يصدق نفسه .....

- ممكن أطلب منك طلب.

- تفضلي لو تبغي عيوني أعطيك إياهن.

- أنا ما عندي رصيد ممكن ترسلي بطاقة ..؟

- غالي والطلب رخيص، بس أنا الآن في الدوام!.

- هيه فيها بس.. ما عليه أنته أصلا لو تريد ترسلي بطاقة كان تصرفت.

- ولا يهمك أعطيني بس نص ساعة واتشوفي .....

اعترته نشوة عارمة، قلبه يرقص من الفرح.. نسي خلالها عمله ومفاتيح السيارات التي لديه.. نسي بيته ومشاكله، نسي الدنيا وما فيها! ..... طلب من البائع بطاقة شحن بخمسة ريالات، فكر أن يرسل لها أقل من ذلك، لكنه خاف أن تنعته بالبخل! يريد أن يكسب ودها من أول جولة.. كان مستعدا لدفع أكثر من ذلك ليضمن تواصلها معه"[(١)]، وهو علىٰ استعداد لانفاق شيء من المال الذي يحتفظ به حتىٰ آخر الشهر في سبيل الجلوس مع إحداهن في مقهىٰ وتناول مشروبا: **"ركن سيارته في أحد المواقف، تحسس محفظته.. تذكر خلالها بأنه يحتفظ بمبلغ عشرين ريالا في الجيب الداخلي؛ نزل وهو يهمس لنفسه: لا بأس لو أنفقت جزءا منه، إذا لزم الأمر"**[(٢)]، كما أنه لا يمانع من صرف آخر ما تبقىٰ لديه من مال نظير ترحيب الراقصات به في المرقص: **"رحبت به إحدى الراقصات بابتسامة خفيفة، وبنظرات خاطفة، بينما الأخرى وقفت قبال طاولتهما، وأخذت تهتز وتتمايل، وهي تبتسم ابتسامات متصنعة، ما لبثت أن ثنت خصرها مظهرة أكبر جزء من نهديها في محاولة منها لجذب انتباههما.... قام وهو يستند على الطاولات في طريقه نحو الحلبة.. أشار**

---

(١) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٢٩-٣١.

(٢) نفسه ، ص٤٠.

لبائع الورد بالاقتراب.. علق خمس وردات.. وردة لكل راقصة.. أتبعها بخمس وردات أخرى"[1] .

"أحمد" بطل الرواية أيضا، لا يحمد الله علىٰ نعمة الوظيفة التي منحه إياها، رغم إيمانه بصعوبة الحصول علىٰ وظيفة، وهو دائما ما يشكو من قلة الراتب، ويطمع أن ينال المكافأة السنوية في كل عام، ويتذمر لو لم يحصل عليها مرة واحدة، أو أن آخر حصل عليها: **"شرد قليلا.. حتى المكافأة التي كان سيحصل عليها الشهر الماضي.. استبعد اسمه من الكشف؛ بحجة أنه حصل عليها في العام الماضي! ماجد الوحيد الذي يتكرر اسمه كل عام، ولا أحد يستطيع أن يعترض!"**[2].

ومن صفات شخصية "أحمد" التي تناقض الصفات الحميدة التي يدل عليها معنىٰ الاسم، أنها شخصية قادرة علىٰ أن تسوّل لنفسها ممارسة الخطأ، وأن تقنع ذاتها علىٰ الإتيان بالمحرمات في سبيل تحقيق المال الذي تحتاجه، أو حتىٰ تحقيق متع آنية، فأحمد يسوّغ لنفسه قبول عرض توصيل الفتيات إلىٰ مزرعة أحد الكبار ليلا؛ لقضاء سهرة خاصة يسودها الرقص والشراب وممارسة الرذيلة، وبأن ذلك مجرد عمل: **"أعطته صالحة عشرين ريالا بعد أن طلبت طاهرة منها ذلك معللة بأنه هو من سيقوم بتوصيلهن إلى المزرعة.. أقنع نفسه بأنه مجرد سائق تاكسي، وأنه يقوم بعمله وهمس في سره: ياالله.. عشرون ريالا مرة واحدة أفضل من الدوران في الشوارع!"**[3].

---

(1) نفسه، ص٧٥.

(2) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٢٩.

(3) نفسه، ص٤٧-٤٨.

إن شخصية "أحمد" كما يظهرها السرد في الرواية، شخصية مهزوزة غير ثابته علىٰ مبدأ، تتظاهر أمام الآخرين بالوقار والرصانة، وتمارس في الخفاء أفعالا تتناقض وصفاتها الظاهرة أمام الأسرة والمجتمع، فهو لا يمانع من الرقص مع الفتيات في الحفلات الليلية، ولا من شرب علب البيرة إذا طلبت إحداهن منه ذلك: **"قامت إحدى البنات وطلبت منه مشاركتها في الرقص، أبدى خجلا في بداية الأمر، لكن سرعان ما امتثل لذلك؛ نزولا عند رغبة الجميع، خاصة بعد أن تبسمت له طاهرة وكأنها تبدي له موافقتها.. عندها أوقفت الفتاة غريمه.. وأخذوا الثلاثة يرقصون بعد أن عقدوا أيديهم بأيدي بعض! ..... قدمت له طاهرة وهي تبتسم علبة بيرة، أحس من خلال نظراتها وكأنها تأمره أن يشرب.. لم يستطع الرفض، شعر وكأنها تتحداه في الشراب بعد أن رفعت كأسها في وجهه جاوبها برفع علبته ودلقها في جوفه"**[(١)]، وهو لا يمانع أيضا، أن يصرف الخمسين ريالا التي تعد آخر ما تبقىٰ من راتبه الشهري في آلة الصرف الآلي؛ لقضاء أوقات ممتعة مع زميله "راشد" علىٰ إحدىٰ طاولات الشراب: **"في المساء مر على ماكينة الصرف الآلي وطالع الرصيد.. الخمسون ريالا هي المتبقية من جملة الراتب، سحبها وهو يهمس في سره: ياالله خربانة خربانة .. عيش يومك كما يفعل غيرك"**[(٢)]، وشخصية **"أحمد" في قرارة نفسها لا ترفض أن تحمل بطلة الرواية سفاحا، بل لدى "أحمد" الاستعداد لمساعدتها لو كانت قد طلبت منه ذلك قبل توريطه في الأمر: "لامها في قرارة نفسه.. لماذا لم تصارحه؟. لو أنها فعلت.. كان يمكنني مساعدتها بدون مشاكل.. قالها لنفسه"**[(٣)] .

---

(١) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل، ص٥٢.

(٢) نفسه، ص٧٤.

(٣) نفسه، ص٧٠-٧١.

شخصية "أحمد" كذلك تناقض معنىٰ الاسم الذي تحمله في أنها تتصف بالنفاق، ويظهر ذلك جليا في لقاءات "أحمد" وحواراته مع المدير العام التي تسودها عبارات المديح، وما يشي به للموظفين بعد الخروج من عنده، خاصة فيما يخص علاقة المدير العام المشبوهة بشخصية "ماجد" الموظف بالوزارة: **"وبينما يهم بالخروج، أمره بأن يمر على قسم شؤون الموظفين، ويطلب من ماجد الحضور.. شدد عليه، بألا يسمع أحدا وهو يطلب من ماجد الحضور. خرج وهو يهمس في سرة المثل الشعبي: بعده العوق في بيت الفوق ..... تعمد أن يُسمع الحاضرين بصوت مرتفع، وهو يقول لماجد: المدير العام يريدك حالا.. الآن"**[1] .

يظهر "أحمد" في عزاء والده الذي كافح لأجل تربيته هو وأخيه "صالح" وأخته الصغرىٰ "عبير"، غير حامد لتضحيات والده الكثيرة: **"والده رجل مسن ملازم للفراش، أفنى عمره مجاهدا؛ لتوفير لقمة العيش لأولاده"**[2]، إن حزن "أحمد" علىٰ ذلك الأب المكافح صاحب التضحيات لم يكن علىٰ قدر ما كان يُتوقع، فهو يريد لأيام العزاء أن تنتهي سريعا لسببين: أولهما أنه يريد لجموع المعزين أن ينفضوا، فوجودهم بمثابة خسارة مادية له: **"أخذت مراسم العزاء الأخضر واليابس، ونفضت كل ما في محفظته.. هؤلاء الجمع يأكلون ويشربون بدون حساب.. بعض الوجوه تتكرر.. والبعض منها ملازمة له طوال اليوم!. يهمس لنفسه: غريب أمر الناس.. بعضهم ما شفته زار أبوي ولا مرة واحدة.. اليوم لازم علي أن أحسب حسابهم في الغداء والعشاء!"**[3]، أما السبب الآخر الذي كان يرجو أن تنقضي أيام عزاء والده لأجله، فهو تفرغه لحبه

---

[1] الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ص٢٧-٢٨.

[2] نفسه، ص١٤.

[3] نفسه، ص٥٩.

الجديد: "كم هي أيام مرهقة.. لم تمر عليه لحظات أصعب من هذه اللحظات.. تمنى أن يأكل الوقت نفسه ليتفرغ لحبه الجديد.. كان ينتهز الفرصة كلما لاحت له؛ ليحاول الاتصال بطاهرة لكن بدون فائدة، هاتفها ما زال مغلقا.. احتار ماذا يفعل؟. لا يستطيع أن يذهب إليها، ويترك أهله على هذه الحال، خمسة أيام حتى الآن، لم يسمع صوتها، تمر عليه بين الحين والآخر تقاسيم وجهها، يتذكر طيفها الجميل، وضحكتها الرنانة المحببة إلى قلبه.. يبحث في الوجوه المعزية له، عله يجد من يكون من طرفها.. لقد اشتاق لابتسامتها.. يتمنى لو كانت معه"[1].

من ذلك، تتضح مفارقة اسم شخصية أحمد في الرواية من خلال التضادية التي تبدو متجلية في الاسم الذي أطلقه الراوي علىٰ الشخصية، والتي تفترض له الأحقية في الصفات الجديرة بالشكر والثناء والحمد علىٰ أعماله وأقواله وسلوكياته، غير أن النص الروائي السردي يكشف لنا عن معاني مختلفة مناقضة للمعنىٰ المشار إليه، ويمكن تبين ذلك من خلال الجدول الآتي:

الدلالة الحقيقية لاسم أحمد	صفات الشخصية المضادة لدلالة الاسم الحقيقي
الصفات الحميدة المستحقة للحمد والشكر والثناء.	متذمر من واجباته الأسرية والاجتماعية.
	ضعيف أمام جنس النساء.
	يشكو من طبيعة وظيفته وواجباته.
	يسوّل لنفسه ممارسة السلوكيات المرفوضة من قبل الأسرة والمجتمع، ويبرر سبب إتيانها.
	ينافق الآخرين، ومنهم مديره في العمل.
	يتنكر لكفاح والده في تربيته وتربية أخوته، بعد رحيله.

[1] الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل، ص٦٠.

تتبدى مفارقة أسماء الشخصيات في الرواية، كذلك؛ من خلال اسم الشخصية النسائية الرئيسة "طاهرة"، فالاسم الذي تحمله هذه الشخصية يعطينا انطباعا أوليا بأننا سنرى صفات النقاء والتقوى والتنزه عن العيوب متجلية في أفعال وأقوال وسلوكيات شخصية "طاهرة"، وبأن الخنبشي لم يختر هذا الاسم كي يوقع القارئ لما قد يتبادر لذهنه من أن هذه المرأة تمتلك صفات الطهر والنقاء، وبأنها عفيفة لا تأتي بأفعال تعد خرقا لأعراف مجتمعها، غير أن السير مع أحداث الرواية يكشف لنا وجود المفارقة في اسم الشخصية، فطاهرة تأتي بكثير من صنوف المنكر؛ خيانة، خداعا، سفاحا، إغراء.....، وهو ما يتناقض مع المعنى الحقيقي للاسم.

شخصية "طاهرة" كما تظهر في أحداث الرواية هي غير ملتزمة بأعراف مجتمعها وعاداته وتقاليده فيما يخص اللباس: **"بدت وكأنها عروس في ليلة زفافها، خاصة بعد انحسار عباءتها المزركشة، والتي كشفت عن فخذها الأيمن، المكسو بثوب حرير أملس"**[1]، وهي غير مبالية من نظرة الآخرين تجاه تصرفاتها الجريئة: **"دون تحرج من نظراته تلك، أخذت تتمايل وتصفق بيدها، مدندنة مع أغنية عبد الكريم عبد القادر المفضلة لديه"**[2]، وليست لديها مشكلة في أن تقضي ليلها خارج المنزل، وتعود في الصباح الباكر: **"بدأ الصباح يرسل ضوئه الهادي في خلايا الظلام.. استمر في المسير إلى أن لاح له الأمل من بعيد، شيء أسود يقف بعيدا عند محطة الانتظار.. آه**

---

(1) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص١٨ .

(2) نفسه، ص١٨ .

إنها فتاة، سأل نفسه: أفي مثل هذا الوقت الباكر؟! وهو يقترب أكثر فأكثر.. توقف بجانبها بعد أن لاحظ إشارة يدها، فتحت الباب الأمامي.. وارتمت على الكرسي، شدت حزام الأمان، دون أن تنبس بكلمة واحدة"[(١)]، كما أنها لا تجد حرجا في أن تطلع الآخرين ممن تصادفهم لأول مرة عن خصوصياتها: **"أنا حاصلة على الثانوية العامة، وبنسبة ٩٠%، لكني للأسف لم أحصل على فرصة لدخول كلية أو جامعة ..... تصدق.. أخوي ما رضا يسفرني أواصل دراستي في الخارج؛ لأنه ما عنده شي"**[(٢)].

شخصية "طاهرة" ترفض العمل الشريف في المقهىٰ، في حين تقبل الإتيان بأعمال غير شريفة تمارسها وتجني من خلالها أموالا تفوق ما قد تحصل عليه من عملها الشريف في المقهىٰ: **"ايش رأيك لو تشتغلي معنا؟ أنا ممكن أساعدك وأكلم صاحب المحل. ضم صوته إلى صوت رضية، مجاملا لها رغم شعوره بعدم الاقتناع: والله فكرة. نعتتهم طاهرة: انتوا مجانيين.. أنا أكسب في اليوم الواحد ما تكسبه رضية، أو أية موظفة في مكان آخر خلال شهر. ولتأكيد كلامها، أخرجت جهاز الهاتف النقال الجديد الذي استلمته من الشاب، وقدمته إلى رضية كهدية لها بمناسبة عيد ميلادها، بينما وعدته بأنه سيرى بعينيه صدق كلامها"**[(٣)]، وهي لا تمانع في سبيل الحصول علىٰ المال أو الهدايا من أن تقييم علاقات حب خادعة ومتعددة مع أكثر من شاب، أو من حضور حفلات مشبوهة يسودها الرقص، والغناء، والشراب، وممارسة الجنس: **"وقفت طاهرة للرقص، تتمايل.. تهتز.. تلتف.. يقف أحدهم لمراقصتها.. ينثر عليها مبالغ من فئات مختلفة.. يتناوبون الرقص معها. يتبارون في نثر**

---

(١) نفسه ، ص١٧.

(٢) نفسه، ص٢٠.

(٣) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٤٥.

المبالغ عليها، يقرأ ما يدور في أذهانهم.. الكل يتمناها.. يخالجه شعور بالغيرة عليها، يتمنى في هذه اللحظة أن يخطفها على حصان أبيض ويخفيها عن أعين المتربصين بها. يقف أحدهم ليراقصها، يدور يمينا وشمالا.. يحاول أن يهتز كما تفعل طاهرة، يفقد توازنه.. يسقط.. يقف.. يعاود الرقص.. يهز منكبيه ويهز خصره.. يقترب من طاهرة.. يقترب أكثر.. يحتضنها.. تحاول الخلاص منه.. يزداد تعنتا.. تتولد الغيرة لديه وتكبر ثم تكبر"[1]. كما أن "طاهرة" لا تفرق في علاقاتها مع الرجال بين من هو متزوج ولديه أسرة أو غير متزوج، فذلك لا ينتقص من قيمة الرجل طالما لديه القدرة علىٰ منحها المال الذي تريد: **"بعد أن أنهى المكالمة، سألته طاهرة عن المتصل.. أخبرها بأنها زوجته، مازحته معاتبة: ليش ما قلتلي إنك متزوج؟ طبعكم انتوا الشباب تستحيوا لما تتعرفوا على وحدة تقولوا إنكم متزوجين!. شرح لها أن لديه ثلاثة أولاد"**[2] .

يتناقض معنىٰ الطهر مع حال "طاهرة" التي تكشف لنا أحداث الرواية بأنها كانت قد فقدت عذريتها، وحملت سفاحا من أحد الرجال الذين كانت تلتقي بهم، وحينما بدت مظاهر الحمل عليها، لم تجد بدا من توريط "أحمد" في أمر الحمل، ونسب الجنين إليه، ليتضح من ذلك أن علاقتها بأحمد منذ البداية كانت قائمة علىٰ الخداع، وغاية العلاقة توريطه في أمر الحمل: **"حسنا.. طاهرة حامل، وتدّعي بأن الحمل ناتج عن علاقتك غير الشرعية بها.. وأظن إنك تعرف عقوبة السفاح في القانون.. من الأفضل أن ننهي المشكلة وديا.. وأنا من رأيي إنك تتزوجها وفي أُقرب وقت. شعر في تلك اللحظة وكأن رأسه يسقط على كتفيه.. بدت ملامح الغضب تعلو وجهه.. أحس ساعتها بدمه يغلي، تساءل في**

---

[1] الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٥١.

[2] نفسه، ص٥٧.

خلجات نفسه: معقولة!. وكيف.. هل سيأتي من الهواء؟. هو يوقن تماما بأنه لم ينم معها في فراش واحد، كان لقاؤه بها يتم معظمه في مكان عام.. الليلة الوحيدة التي جمعتهما في منزل صالحة، وقد نام كل منهم في غرفة منفردة.. عندها جاء رده عنيفا.. بعد أن ثبّت همته واستجمع شجاعته:

- أنا أرفض هذا الاتهام وبكل إصرار.

- طاهرة تدعي ذلك.. وأن لديها شهود، ولا فائدة من الإنكار"[1].

وعليه، فإنه يمكن توضيح مفارقة اسم شخصية طاهرة في الرواية من خلال ما يأتي:

الدلالة الحقيقية لاسم طاهرة	صفات الشخصية المضادة لدلالة الاسم الحقيقي
الطهر، والنقاء، والعفة.	عدم الالتزام باللباس المحتشم.
	الجرأة المبالغ فيها في التعامل مع الرجال.
	تعدد العلاقات غير المشروعة مع الرجال.
	قضاء أوقات طويلة خارج البيت، تمتد حتىٰ وقت الصباح.
	حضور حفلات الرقص والغناء والشراب.
	رفض العمل الشريف مقابل ممارسة الأعمال غير الشريفة.
	قبول الحصول علىٰ الهدايا والأموال من الشباب.
	الحمل دون زواج.

[1] الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل، ص٦٩.

من الشخصيات الرئيسة التي تحفل بها رواية "السفر آخر الليل"، شخصية "شريفة"، وهي زوجة "أحمد" بطل الرواية التي خطبتها له أمه ذات يوم، ولم يكن قد رآها، ليتفاجأ بجمالها ورقتها في ليلة زفافهما: **"تذكر زوجته شريفة، كم كانت تشبهها في السنة الأولى من زواجهما، تمنى أن تعود تلك الأيام، كم كانت جميلة"**[1].

اسم "شريفة" يستمد دلالته من الشرف والجاه والأخلاق الحميدة العالية، والمرأة الشريفة هي من تحفظ شرف زوجها في غيابه، وهو من أنبل الأخلاق التي يمكن أن تتحلىٰ بها امرأة متزوجة، وبالرغم من جمال هذا الاسم وسمو معانيه، إلا أن صفات شخصية "شريفة" في الرواية تختلف كثيرا عن معنىٰ الاسم، الأمر الذي تتضح معه مفارقة اسم الشخصية، فشريفة لم تستطع الحفاظ علىٰ شرفها وشرف زوجها في غيابه. إن أحداث الرواية تكشف للمتلقي بأن "شريفة" التي أنجبت من أحمد أطفالها الثلاثة، كانت تخون زوجها "أحمد" في غيابه، ويتأكد لأحمد أمر خيانة زوجته حينما تأتي نتائج الفحوصات المخبرية لتؤكد بأن الجنين الذي تحمله "طاهرة" في أحشائها وكانت قد اتهمته بأبوته، ليس ابنه، فهو عقيم وغير قادر علىٰ الإنجاب: **"مبروك الأخ أحمد جاءت نتائج الفحوصات المخبرية لصالحك.**

- الحمد لله أنا كنت متأكد من النتائج.

- كيف .. أنت كنت تعرف بأنك عقيم وغير قادر على إنجاب الأولاد؟!"[2].

---

(1) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص١٩.

(2) نفسه ، ص٧٧.

في لحظة مواجهة "أحمد" لزوجته "شريفة"، تتأكد له خيانات الزوجة المستمرة باعترافها الصادم له: **"توجه مسرعا نحو المنزل، صادف زوجته شريفة عند الباب، سحبها.. دفعها باتجاه غرفة النوم.. سقطت من قوة الدفعة، تبعها بركلة قوية من قدمه على مؤخرتها.. انكبت على وجهها ..... وجه نظرها على صورة كانت تجمع أولادهم الثلاثة وصرخ في وجهها: خبريني.. أولاد من؟ خبريني وإلا قتلتك.. الآن.. الآن.. استمر في الضغط عليها.. رفسها رفسة قوية في بطنها.. انتحبت أكثر فأكثر.. بعد برهة، تمتمت، وهي بين الحياة والموت: ....."**[(١)].

واحدة من الشخصيات المؤثرة في سير أحداث هذه الرواية، هي شخصية "صالح"، وصالح هو الأخ الأصغر لأحمد بطل الرواية، وقد اختار له الروائي هذا الاسم الذي يدلنا علىٰ صلاح الأحوال واستقامتها، والذي يفترض معه أن يكون "صالح" صالحا تجاه نفسه وأسرته، غير أن الأحداث تذهب بالقارئ بعيدا عن معاني هذا الاسم، لتتحقق مع ذلك مفارقة اسم الشخصية، فصالح لا توحي أحواله بالصلاح، فهو: **"ينام عند الفجر، ولا يصحو إلا عند الغروب.. عاطل عن العمل، ترك الدراسة منذ أكثر من خمس سنوات، كم كانت الشجارات بينهما قوية وحادة حول ذلك، لدرجة كانت تلفت انتباه الجيران أحيانا، خاصة عندما يستلم فاتورة الكهرباء في فصل الصيف، وغالبا لا يوقف ذلك الشجار إلا بكاء أمهما، أو صراخ والدهما المقعد. جهاز التكييف لا يتوقف عن الدوران في غرفة المجلس، حيث ينام صالح وهو غير مبال بذلك"**[(٢)]، وهو يتغيب عن المنزل في أوقات كثيرة، دون أن يخبر أحدا عن سبب غيابه، أو المكان

---

(١) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٧٨-٧٩.

(٢) نفسه، ص١٥.

الموجود فيه: **"خالجه شعور بالقلق، أحس بقلبه ينقبض، في حياته لم يدخل أقسام التحقيق، خامره الشك أن الموضوع متعلق بأخيه صالح، بعد ما أخبرته زوجته بعد أن هاتفها بأنه لم يعد للمنزل منذ ثلاثة أيام وأنهم قلقون عليه وهاتفه ما زال مغلقا. حاول الاتصال به وبعد عدة محاولات رد.**

سألة: وين كنت؟

- كنا رايحين رحلة للشرقية واليوم راجع.

- وليش ما خبرت حد؟ وليش تلفونك مغلق؟

- التلفون ما فيه تعبئة، وأنت عارف السالفة شبابية وما قلت حال حد"[1].

تظهر المفارقة كذلك، في اسم شخصية "صالح"، حينما تكشف الرواية في نهايتها عن اتصافه بالخيانة والغدر، فالأحداث تكشف عن خيانته لأخيه "أحمد" مع زوجته "شريفة"، وبأن والد الأبناء الثلاثة ليس إلا هو صالح نفسه، الذي كان يعاشر زوجة أخيه في غيابه، فأنجبت منه الأبناء الثلاثة: **"استمر في الضغط عليها.. رفسها رفسة قوية في بطنها.. انتحبت أكثر فأكثر.. بعد برهة، تمتمت، وهي بين الحياة والموت: أخوك .. صا .. صا .. صالح"**[2].

قريبا من التناقض الحاصل بين اسم شخصية "صالح"، ومعاني الاسم التي أظهرتها الرواية، نجد ذلك التناقض مع شخصية "صالحة"، فصالحة التي يقدمها الراوئي بهذا الاسم، نتفاجأ بأنها في الحقيقة ذكر، تأتي بأقوال وأفعال وسلوكيات لا تقترب من صلاح الأحوال واستقامتها، فهو/ هي الصديقة المقرّبة من "طاهرة"،

---

[1] الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٦٢.

[2] نفسه ، ص٧٩.

وهي: **"ولد في العشرين من عمره تقريبا، يرتدي ملابس نوم نسائية مطرزة، طويل الشعر، أبيض البشرة، مورد الخدين، يلمع بالمساحيق، وعيناه مكحلتان، يداه منقوشتان بالحناء، أطال أظافره وزينهما بمادة حمراء، لم يبق له عظم في جسمه إلا وقد لان"**[(١)]، و"صالحة" هي من تقوم بالتنسيق للحفلات الليلة التي تقام في المزارع التي يمتلكها الأغنياء، وهي من تقوم بجلب الفتيات لهذه الحفلات، وتشرف علىٰ ملابسهن وزينتهن: **"أخبرتهما صالحة عن حفلة الليلة.. بأنها ستكون في إحدى المزارع، وستكون خاصة جدا، أخرجت صالحة ورقة خمسين ريالا، وناولتها طاهرة وهي تنظر إليه، ولسان حالها يقول: ها هي طريقة كسبي.. أدارت طاهرة نظرها نحو صالحة وسألتها: كم بنت ستكون برفقتنا؟ عددت صالحة أسماء ثلاث بنات، كما حددت الساعة الحادية عشر مساء للخروج من نفس المنزل ..... كان الجميع على أهبة الاستعداد للانطلاق، مرت صالحة على كل واحدة منهن لتتأكد وتعدل، وتضع بعض أدوات التجميل والمساحيق، بدت وكأنها خبيرة في عالم التجميل، أعطت التعليمات: التخاطب بأسماء الشهرة فقط، أي اتفاق عن طريقي وبس، علشان تمشي الأمور كما تعودنا"**[(٢)]، كما أن "صالحة" هي من تقدم تعليمات الشرب والرقص في هذه الحفلات حتىٰ تستقيم الأمور، وهي المحرضة علىٰ خداع الحاضرين ومحاولة الحصول علىٰ أكبر قدر من الأموال منهم: **"ما حد يشرب أكثر من اللازم.. كل وحدة منكن تبذل ما في وسعها للحصول على مبالغ التنقيط. يجب أن تكون شهية الجيوب مفتوحة هذه الليلة. مفهوم؟"**[(٣)].

---

(١) نفسه، ص٤٦.

(٢) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٤٧-٤٨.

(٣) نفسه، ص٤٩.

من الصفات الأخرىٰ التي تظهرها أحداث الرواية لشخصية "صالحة" هي شهادة الزور، فالشاهد الذي استعانت به "طاهرة" في مركز الشرطة لإثبات نسب الجنين لأحمد، هي "صالحة":

"طاهرة تدعي ذلك.. وأن لديها شهود، ولا فائدة من الإنكار.

- ممكن أعرف من هم الشهود؟

- واحد اسمه صالح.

- أيش؟ وهل هذا من وجهة نظرك شاهد تؤخذ شهادته؟"[1].

شخصية "راشد" في الرواية أيضا، شخصية تفارقية من حيث معنىٰ الاسم الذي تحمله، فما يدل عليه الاسم يشير إلىٰ أن "راشد" مهتدي، هادي، مستقيم، عاقل، ولكن "راشد"، وهو زميل أحمد الذي يعمل معه فراشا في الوزارة كما تصوره أحداث الرواية، يبتعد عن الاستقامة والهدىٰ، فمن صفاته أنه مهزوم من الحياة، غير متحلي بالصبر والقوة والإرادة في مواجهة صعوباتها، لذا نجده يهرب من كل ذلك إلىٰ ما يناقض صفات الرشد والهدىٰ، وهو شرب أرخص أنواع الخمر، وهي عادة يمارسها باستمرار، **"دخل مبنى الوزارة.. صادف زميله راشد، تصافحا وقد لاحظ احمرار عينيه وجحوظهما للخارج.. شم رائحة العطر الرخيص المنبعثة من فمه.. التي يضج بها المكان ..... مسكين راشد كم مرة تعرض للخصم من مرتبه؛ بسبب حالته المستمرة على هذا الشكل، لم يهتم أحد في يوم من الأيام بمعاناته، لديه تسعة أولاد، ومشاكله كثيرة، صاحب مجموعة من أقرانه، يبدؤون شرب العطور الرخيصة من بعد الدوام إلى منتصف الليل. أباح له راشد في إحدى المرات بأن الشمبريشة هي الوحيدة القادرة**

[1] نفسه، ص٦٩.

على أن تنسيهم حياتهم ولو للحظات، رغم معرفتهم بأنها في النهاية قاتلتهم"[١].

إن "راشد" كما يظهر في أحداث الرواية يبدو ضعيفا أمام لحظات الشراب، فهي المتنفس له، والتسلية الوحيدة للظروف الصعبة التي يمر بها، لذا فهو لا يقدم النصيحة لزميله "أحمد" بعدم الشرب في لحظات الضعف التي يمر بها "أحمد"، بل علىٰ عكس ذلك، نراه يستغل تلك اللحظة ويرحب بعرضه ودعوته للذهاب إلىٰ المرقص للشراب علىٰ حسابه: **"في المساء اتصل بزميله راشد، تواعد معه ليذهبا معا هذه الليلة إلى المرقص، ووعده بأن شراب هذه الليلة على حسابه، المهم أن يكون راشد بجانبه هذه الليلة.. فرح الأخير بالخبر، وحثه أن يكون ذلك عاجلا.. وقال له مازحا: من الأفضل أن نذهب في وقت مبكر بدل الانتظار؛ خوفا من أن تتراجع في آخر لحظة. طمأنه بأنهما سيذهبان، وأن لديه الرغبة الجامحة للشرب"**[٢]. كل ذلك أدىٰ إلىٰ أن يكون راشد غير مستقيم في أداء واجباته في العمل، وغير ملتزم بما هو مطلوب منه، فأصبح مكان العمل بالنسبة إليه مكانا للنوم والراحة: **"تأكد من خلو الممر، وصلا المطبخ.. اضطجع راشد على الكنبة القديمة، بعد أن وضع عليها سجادة قديمة.. وراح في سبات عميق"**[٣]، إن كل الصفات التي تظهرها شخصية "راشد" في الرواية والأفعال التي تأتي بها، تذهب بالمعنىٰ الحقيقي لاسم "راشد" بعيدا عن سمات هذه الشخصية في الرواية.

---

(١) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل، ص٢٤-٢٥.

(٢) الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ص٧٤.

(٣) نفسه، ص٢٥.

تظهر مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل" أيضا، في اسم شخصية "رضية"، وهي ابنة خالة "طاهرة"، و"رضية" فتاة مكافحة، تختلف في تصرفاتها وقناعاتها كثيرا عن ابنة خالتها "طاهرة"، فهي حينما لم تجد الوظيفة المناسبة التي تسد حاجتها وحاجة أسرتها إلىٰ المال، قررت أن تعمل نادلة في أحد المقاهي، وبالرغم من الإيحاء الأولي الذي قد يتبادر للذهن بعدم وجود تلك المفارقة في اسم الشخصية علىٰ اعتبار أن "رضية" قد رضيت بالوظيفة البسيطة التي تسد احتياجاتها واحتياجات أسرتها الأولية؛ إلا أن أحداث الرواية تكشف لنا عن وجود مفارقة الاسم، فرضية وإن كانت وافقت علىٰ مبدأ العمل، إلا أنها لم تكن راضية عن طبيعة العمل، وهي ما زالت تبحث عن وظيفة أخرىٰ تناسبها، فهذه الوظيفة لا تتلاءم مع الشهادة التي حصلت عليها: **"قطعت طاهرة نظراته الطويلة لرضية، بقولها: لم تجد عملا أفضل من هذا المكان، رغم أنها خريجة كلية التقنية، ولديها شهادة في إدارة الأعمال، رغم المراجعات والوعود، مسكينة ما زالت تبحث عن عمل أفضل. في تلك اللحظة كانت رضية قد جلست بجانب طاهرة. قال لها: سمحي لنا، كنا في سيرتك، أشوف المكان ما يناسبك. ردت عليه بعد أن أخذت نفسا عميقا، وهي تسرح بنظرها في الخارج: قلة الحيلة خلتني أعمل في هذا المكان كما تشوف"**[1](الخنبشي، ٢٠٠٧، ٤٤).

كما أن "رضية" لم تكن راضية نهائيا عن الكثير مما يحدث معها في العمل، فهي ترفض نظرات الزبائن التي تراقبها، وتستحل النظر إلىٰ مكامن أنوثتها: **"راقب تحركات رضية وتنقلها بين الزبائن.. تحاول جاهدة تفادي العيون التي ترقبها. هي تدرك تماما بأنها لا بد أن تخفي ما تستطيع من أنوثتها.. خاصة مقدمة صدرها الذي يصرخ من ضغط القميص الذي ترتديه"**[2](الخنبشي، ٢٠٠٧، ٤٤)، و"رضية" **لا ترضى بتقديم تنازلات في**

---

[1] الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل، ص٤٤.

[2] نفسه، ص٤٤.

سبيل تحسين وضعها في العمل أو الحصول على وظيفة أفضل: "ذهبت لمقابلة مدير في إحدى الشركات، وهو أحد زبائن المقهى. لقد طلب منها شيئا فوق طاقتها، مقابل أن يساعدها في الحصول على الوظيفة، وأن يعطيها من المال ما تريد"[1](الخنبشي، ٢٠٠٧، ٤٤)، وعليه فإن مفارقة اسم شخصية "رضية" الذي يوحي برضا الشخصية عن حياتها وممارساتها، يتحقق من خلال عدم رضا الشخصية عن عملها، وعن تصرفات الآخرين وسلوكياتهم معها.

وتعد معاني أسماء شخصيات أبناء أحمد الثلاثة: (خالصة، وسالم، وصفاء)، مفارقات تدخل في باب مفارقة أسماء الشخصية، فالأسماء الثلاثة التي اختارها "أحمد" لمن يعتقدهم أبناءه، جميعها تشتق معانيها من النقاء، والصفاء، والسلامة، وكأن في ذلك إشارة أراد الروائي أن يوهم القارئ بها، وهي تأكيد صحة نسبهم إلىٰ أبيهم أحمد، في حين أن تلك المعاني التي تحملها الأسماء الثلاثة لم تتحقق في شخصيات الأبناء، وهذا ما كشفت عنه أحداث الرواية، فأبوته لهم لم تكن نقية، ولم تكن صافية، ولم تكن سالمة؛ لأن الأبناء الثلاثة يعود نسبهم لأخيه صالح.

بهذه الكيفية نجد أن اشتغال الروائي بمفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل"، كان هو أساس هذا النص السردي الروائي، ولعل "الخنبشي" أراد من خلال توظيف هذه التقنية ونوعية المعالجة المستخدمة، الوقوف علىٰ كثير مما هو موجود في المجتمعات، ومعاش في الواقع، لكنه يختبئ تحت أقنعة المسميات المرتبطة بالقيم والأخلاق والدين.

❁❁❁❁❁

[1] الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل ، ٤٤.

خاتمة

درس البحث مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل"، للكاتب العماني يعقوب الخنبشي، وتوزع البحث علىٰ مبحثين رئيسين، يمثل الأول منهما الجانب النظري للبحث، حيث ناقش دلالة مصطلح المفارقة، وعناصرها، ووظائفها، وأنواعها، ومستوياتها، ومبادئها، وأهمية توظيفها في الأدب عموما، والرواية خصوصا. فيما يمثل المبحث الثاني الجانب التطبيقي للبحث، وقد درس آلية الاشتغال علىٰ تقنية مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل".

وخرج البحث بالنتائج الآتية:

١) المفارقة ظاهرة أدبية عرفتها الأمم والشعوب القديمة علىٰ اختلافها، وهي قديمة قدم قدرة الإنسان علىٰ إبداع الأدب وتذوقه: شعرا، ونثرا، وهي وإن لم تعرف بمصطلحها الحديث في المدونة النقدية العربية القديمة، إلا أن هناك الكثير من المصطلحات الأخرىٰ التي تدل علىٰ وجودها ضمنا في الاستعمالات الأدبية والنقدية والبلاغية، ومنها: التعريض، وتجاهل العارف، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، والتورية، والكناية، وغيرها.

٢) لا يوجد لدىٰ النقاد والدارسين اجماع علىٰ مصطلح المفارقة، ولا حصر لأنواعها، فكل واحد منهم نظر إليها من زاويته الخاصة، ومن طبيعة وظائفها التي تؤديها.

٣) كشف البحث عن الدور الذي تلعبه المفارقة في الأدب عموما، وبنية الرواية علىٰ وجه الخصوص، حيث إنها تؤدي دورا فاعلا في البناء اللغوي للنصوص الروائية، وتشكيلاته الداخلية، وهي تسهم في بناء الشخصيات الروائية، وترسم ملامحها الدقيقة، وتكشف عوالمها وحقائقها غير المعلنة.

٤) لمفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل" حضور كبير ذو تأثير علىٰ أحداث السرد وشخصياته، وقد ظل هذا التأثير ممتدا حتىٰ نهاية السرد في الرواية.

٥) وظف الكاتب مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل" بصورية قصدية، فكان بناؤها جوهريا، أصيلا، أثر علىٰ مجريات السرد.

٦) تكمن جمالية مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل" في أن دلالات معاني أسماء الشخصيات أتت مخالفة لمعاني الأسماء الظاهرة، فخرجت تلك المعاني عن الدلالات الواضحة والمباشرة التي يتوقعها القارئ، إلىٰ معان مخالفة، أثارت القارئ وجعلته متصلا بالنص؛ بغية فهم تلك المتنافرات والمتضادات، الأمر الذي جعله أيضا يشعر بجمالية النسيج اللغوي للرواية، وتراكيبها، وصورها، وتقنياتها الفنية الأخرىٰ.

٧) استطاع الكاتب من خلال توظيف تقنية مفارقة أسماء الشخصيات في رواية "السفر آخر الليل" أن يعالج قضايا نوعية تخص المجتمع، فجاء توظيفها راصدا ومعلنا لكثير من التفاصيل والأسرار التي أباح عنها بصورة أبعدته عن دائرة المساءلة والانتقاد.

مصادر البحث، ومراجعه:

أولا- المصادر:

- الخنبشي، يعقوب، السفر آخر الليل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧.

ثانيا- المراجع العربية:

- الإبراهيم، ميساء سليمان، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١.
- إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠.
- إبراهيم، نبيلة، المفارقة، مجلة فصول (مجلة النقد الأدبي)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلد٣، عدد٣-٤، ١٩٨٧.
- إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٠.
- إلياس، ماري؛ وقصاب، حنان، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.
- الأوسي، راما عبد الجليل، المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة (٢٠٠٣-٢٠٠٤)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، العراق، ٢٠١٦.
- باصريح، عمر، شعرية المفارقة في منجز البردوني الشعري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦.
- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز العربي، بيروت، ١٩٩٠.
- برنس، جيرالد، قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣.
- جديتاوي، هيثم محمد، المفارقة في شعر أبي العلاء المعري: دراسة تحليلية في البنية والمغزى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد؛ ودار اليازوري، عمان، ٢٠١٢.
- الجزري، ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي؛ وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إميل بديع يعقوب؛ ومحمد نبيل طريفي، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.
- الحسين، أحمد جاسم، القصة القصيرة جدا: مقاربة تحليلية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠١٠.
- حصباية، الزهراء، المفارقة في الرواية العربية الحديثة: رواية الثلج يأتي من النافذة لحنا مينا أنموذجا، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، ٢٠١٤/ ٢٠١٥.
- حمداوي، جميل، السيميوطيقيا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد٢٥، عدد٣، ١٩٩٧.
- خضير، عبد الهادي، المفارقة في شعر المتنبي، مجلة كلية البنات، جامعة بغداد، مجلد٣، عدد١١، ٢٠٠٠.
- الخفاجي، أسعد مكي، المفارقة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٠.
- الخلايلة، ازدهار عبد الرحيم، المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩.
- خليفة، أحمد، المفارقة في قصص زكريا تامر، عمادة البحث العلمي: الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٤.
- راي، وليم، المعنىٰ الأدبي من الظاهراتية إلىٰ التفكيكية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧.
- رضوان، إلهام عبد العزيز، الموت في الحياة المفارقة ورؤية العالم في قصص يحي الطاهر عبدالله، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، عدد٣٤، ٢٠١٩.
- رضوان، عبدالله، البنىٰ السردية: دراسة تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٢.

- زاده، شمسي واقف، الأدب الساخر: أنواعه وتطوره مدىٰ العصور الماضية، مجلة دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، سنة٣، عدد١٢، ١٣٩٠هـ.
- السعدني، مصطفىٰ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.
- السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- سليمان، خالد، المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.
- سليمان، خالد، نظرية المفارقة، مجلة أبحاث اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا: جامعة اليرموك، مجلد٩، عدد٢، ١٩٩١.
- شبانة، ناصر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢.
- شعث، أحمد جبر، تقنية الراوي في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا إبراهيم جبرا، حولية كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة، عدد٢، ٢٠٠١.
- شوقي، سعيد، بناء المفارقة في الدراما الشعرية، دار إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١.
- العاكوب، عيسىٰ علي، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٠.
- عباس، سناء هادي، المفارقة بنية الاختلاف الكبرىٰ، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العراق، عدد٤٦، ٢٠٠٦.
- العبد، محمد، المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦.

- عبدالله، عدنان خالد، النقد التطبيقي التحليلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- عصفور، جابر، رمزية الليل، مقال ضمن كتاب: (نازك الملائكة: دراسات في الشعر والشاعرة)، إعداد: عبدالله المهنا، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٥.
- عطية، شعبان عبد العاطي؛ وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤.
- علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥.
- علي، نجاة، المفارقة في قصص يوسف إدريس القصيرة، المجلس الأعلىٰ للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١.
- علي، نجاة، مفهوم المفارقة في النقد الغربي، مجلة نزوىٰ الثقافية، عُمان،عدد٥٣، ٢٠٠٨.
- العيد، يمنىٰ، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، القاهرة، د.ت.
- فرجان، نبيلة؛ ومجناح، جمال، التشكيل الفني للشخصية الساخرة: مسرحية الأقنعة المثقوبة أنموذجا لعز الدين جلاوجي، مجلة علوم اللغة وآدابها، جامعة الشهيد حمة، لخضر الوادي، مجلد١٣، عدد١، ٢٠٢١.
- قاسم، سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول (مجلة النقد الأدبي)، عدد٢، ١٩٨٢.
- قطوس، بسام، سمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠١.
- ماكوين، جون، الترميز، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.

- محمد، إسماعيل محمود، بناء المفارقة في الرواية النسائية السعودية: مقاربة سردية موازية بين روايتي الوارفة لأميمة الخميس وعيون قذرة لقماشة العليان، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، سنة٩، عدد٢٥، ١٤٤٣هـ.
- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٨.
- المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨.
- مشتوب، سامية، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١١.
- المصري، ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٠.
- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧.
- ميويك، دي. سي، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧.
- فراي، نورثروب، تشريح النقد: محاولات أربع، ترجمة: محمد عصفور، عمادة البحث العلمي: الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١.
- هيجل، جورج، محاضرات في تاريخ الفلسفة: مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦.

- واط، إيان، نشوء الرواية، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١.

- ونان، محمد، المفارقة في القصص الستيني العراقي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المستنصرية، العراق، ٢٠٠٠.

- اليوسفي، محمد لطفي، بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥.

ثالثا- المراجع الأجنبية:

- Thompson, A.R – The Dry Mock, A study of Irony in Drama, Berkley, ١٩٤٨.